ارسين لوبين



جريمة في السجن



— ١ —

دخل جان أونيه حانوت جوهرى فى شارع شانزلييه . وتغاضى عن أن يدفع ثمن ما أخذ . !

وكان دخوله إلى الحانوت من فجوة فى السقف أحدثها فى أرضية المسكن الذى يقع فوق الحانوت مباشرة إذا استأجره فترة وجيزة من الوقت .

كانت العملية بديعة متقنة لأن جان خبير فى مثل هذه « الضربات » ولكن شخصيته كانت مطبوعة على فعلته تنادى وتصرخ بأن جان هو السارق . . فلم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان مسوقا إلى السجن .

وقد اقتيد إلى مخفر بوليس الشانزلييه وقام باستجوابه مفتش المخفر .

وكانت الورطة الشائكة تنحصر فى أن جان أونيه كان يحمل عند القبض عليه الشطر الأكبر من الغنيمة . . كان فى جيبه صندوق صغير من الورق المقوى اودعت فيه الأحجار الكريمة المسروقة بعد نزعها من الحلى التى كانت مركبة عليها .

وكان الصندوق ملفوفاً بالورق مشدوداً بالخيط ولم يكن ينقصه إلا

أن يكتب عليه العنوان .

ومن أجل معرفة هذا العنوان كان المفتش ظريفاً مترفقاً إلى الغاية القصوى .

وقال المفتش فى صوت عطوف :

ــ كان فى نيتك طبعاً ياجان أن ترسل هذه المسروقات إلى « المروج الكبير » . . ؟ أليس كذلك . . ؟

فأجابه جان فى لهجة آلية :

ــ لا أدرى عما تتحدث ياسيدى المفتش . . إنى لا أعرف أن هذه الجواهر مسروقة . . كل ما هنا لك إنى عثرت عليها ملقاة فى الطريق فالتقطتها . وكان فى نيتى أن أرسلها إلى مكتب الأشياء المفقودة .

ولكن المفتش استمر رقيقاً عطوفاً على رغم هذا الإنكار وقال وهو ينظر فى مفكرة موضوعة على مكتبه :

ــ لقد حوكمت من قبل ست مرات فإذا أردنا أن نشتد فى معاملتك ذكرنا للقضاة تاريخك القديم ولم تكن هناك مندوحة من نفيك إلى جزيرة الشيطان وإذا قدر لك أن تخرج منها حياً لبثت ثلاثة أعوام تحت المراقبة . ولكن فى وسعنا أن نتغاضى عن كل هذا . . فى وسعنا أن ننسى سوابقك . . بل ان فى وسعنا أن ننسى هذه الحادثة بالذات فنخلى سبيلك دون أن نقدمك للمحاكمة . . ولست أبغى منك لقاء هذا إلا كلمة واحدة هى أن تصارحنى بالعنوان الذى كنت

تنوى أن تكتبه على الطرد .

وفكر جان أونيه برهة فيما سمع

أن الشرف موجود بين اللصوص . . ولكن للشرف فى كل مكان معنى مطاطاً . . وجزيرة الشيطان بحرارتها المهلكة يمكن أن « تمط » الشرف إلى أقصى حدوده .

وتكلم جان أونيه فى استسلام قائلا :

ـــ حسنا . سأعترف . . سأعترف بكل شىء .

وكان من الممكن أن تنتهى الحكاية عند هذا الحد لو أن كاتب الاختزال كان موجوداً . فما على المفتش إلا أن يضغط زر الجرس فإذا جاء الكاتب التقط بسرعة البرق كل كلمة تخرج من بين شفتى جان أونيه .

ولكن كاتب الاختزال كان قد غادر المخفر ليتناول طعام الغذاء . . وكان المفتش نفسه جائعاً فأرجأ الاستجواب إلى ما بعد تناول الطعام .

وغادر المفتش المخفر بعد أن أمر بأن يقدم إلى جان أونيه كل ما يشتهى من ألوان الطعام على حساب إدارة السجن ذاكراً لمعاونيه أنه سيعود فى الساعة الثانية بعد الظهر ليسمع الاستجواب الخطير .

وجىء بالطعام للسجين من مطعم مجاور حملته إليه فتاة رشيقة ذات ابتسامة ظريفة جذابة .

ودخلت الفتاة بالطعام إلى غرفة الشرطى المراقب فوضعته على

الطاولة وسمعت الكلمات التى همس بها الشرطى مغازلا لها وابتسمت ثم غادرت المكان والشرطى يشيعها حتى الباب الخارجى إذ كانت لا تزال لديه بضع مغازلات يجب أن ينفس بها عن صدره .

ثم جاء السجان لحمل الطعام إلى السجين

وكان السجان هو آخر من رأى جان أونيه على قيد الحياة . .

واستردت الفتاة صحاف الطعام فارغة ورجعت بها إلى المطعم دون أن يحاول أحد استجوابها أو توجيه أى سؤال إليها .

وكان الأشخاص الوحيدون الموجودون فى غرفة المراقبة عندما جاءت فتاة المطعم تحمل الطعام ثلاثة وهم : الشرطى المراقب والسجان والمفتش بروكيه . . ومع ذلك فقد استطاع شخص مجهول فى خلال الرحلة القصيرة التى قطعتها صينية الطعام أن يدس فى اللحم المشوى كمية من الزرنيخ تكفى للقضاء على فرقة من الجنود . . وكان جان أونيه نهما يحب اللحم المشوى فالتهمه فى سرعة البرق . . والتهم معه الزرنيخ .

وكانت هذه الجريمة حديث الناس والصحف فى خلال تسعة أيام كاملة . . فما تقرأ صحيفة ما إلا طالعتك فى صدرها العناوين الضخمة المثيرة عن جريمة ارتكبت داخل السجن . . بل لقد بلغ من شدة الاهتمام بالحادث أن صحا بعض أعضاء البرلمان من النوم ووجهوا للحكومة طائفة من الأسئلة عن هذه الجريمة .

ولكن كل هذا التساؤل .. وكل هذه الأبحاث ذهبت أدراج الرياح ولم تغن شيئاً .

وبعد ستة أسابيع من هذا الحادث تحرك لص آخر يدعى فرانسوا فوشيه فسرق من الجوهرات ما قدرت قيمته بمائة وعشرين ألفاً من الفرنكات

وكان فرانسوا فوشيه يمتاز بابتسامة ظاهرة . تجعل من يراه يقسم بأنه أمام قديس فوق الشبهات . فلم يكن أسرع من رجال الأعمال وثوقا به وركونا إليه . وكان يمتاز فضلا عن ذلك بثياب أنيقة والمام تام باللغة الانجليزية إذ عاش فى أمريكا بضع سنوات فحذق اللهجة الأمريكية المعروفة .. وكان يمتاز أيضاً بكمية كبيرة من البطاقات الخاصة بمختلف شركات السياحة فاذا ما ألصقها على حقيبة ظن من رآها أنه رجل رحالة قادم من أقصى المعمورة .

وبهذه المميزات نزل فرانسوا فوشيه فى فندق رويال وفى رفقته صديقته التى يدعى فى بعض الأحيان أنها زوجته أو أخته أو ابنة عمه حسب الأحوال وطبقاً للظروف .

وفى هذه المرة ادعى أن صديقته هى زوجته .. وأنهما عروسان هبطا فرنسا ليقضيا شهر العسل فى بلاد الغرام والأحلام . وامضى العروسان بضعة أيام وهما يطوفان باريس ويترددان على المسارح ولا يعودان إلى الفندق إلا قبيل الفجر بساعة أو ساعتين .

وكان رجال الفندق كلما رأوهما تهامسوا قائلين:

— ما أسعدهما . !

فيجيبهم بعض زملائهم :

— لا عجب .. انهما فى شهر العسل . !

ولكن يظهر أن شهور العسل كغيرها من الشهور يمكن أن تعكر صفوها الأمراض .

ففى ذات صباح نزل فوشيه وحده من غرفته واقترب من كاتب الفندق وقال له :

— إن زوجتى اليوم مصابة بالصداع .. وأغلب ظنى أن الضجر قد أدركها .. ولعلها تحن إلى العودة إلى الوطن .

ثم ضحك وقال :

— ماذا تفعل إذا استولى الضجر على زوجتك ؟

فقال الكاتب فى ارتباك إذ لم يكن مما يدخل فى نطاق عمله أن يجيب على مثل هذه الأسئلة :

— لست أدرى .. ولكن أظن أن خير وسيلة لإخراج الزوجة من ضجرها هى محاولة تسليتها وصرفها عن خواطرها

فقال فرانسوا فوشيه مؤيداً :

— هذا صحيح .. العلاج الوحيد للضجر أن نصرفها عن خواطرها ، على الزوج فى مثل هذه الحالات أن يشغل زوجته بشىء ما .. قبعة جديدة .. معطف جديد .. سوار جديد

وكأنما هبط عليه الإلهام فجأة فصاح قائلا :

— نعم . . سوار جديد . . ! هذا هو الشيء الوحيد الكفيل بإزالة ضجرها . . نعم سوار جديد . . خبرنى . . ما هو أكبر متجر فى مدينتكم لبيع الجواهر ؟

ففكر الكاتب هنيهة ثم قال :

— بوديه . . فى شارع لافاييت

فأشرق وجه فوشيه وقال :

— اتصل بهم تليفونياً من فضلك واطلب إليهم أن يحضروا بمجموعة من السوارات الماسية . فإذا ما جاء الرجل فأرسله مباشرة إلى مخدع زوجتى لتنتقى ما يروقها . . وإنى موقن من أن هذا السوار هو الوسيلة الوحيدة لتبديد سأمها .

وكانت إدارة الفندق مغتبطة إذ أتيحت لها فرصة تسدى فيها خدمة لهذا النزيل الأمريكى الذى كان ينثر الذهب نثراً والذى كانت حقائبه الضخمة وملابسه الأنيقة أكبر دليل على سعة ثروته . . وكان مسيو بوديه مغتبطاً للصفقة التى كان يعتقد أنه سيعقدها بعد قليل . إذ أن إدارة الفندق شهدت عن نزيلها بما ظن معه تاجر الجواهر أن مستر جيمس فاسون (وهذا هو الاسم الذى يتسمى به) هو مستر فورد متنكرا . . ولهذا أسرع من فوره إلى الفندق يحمل معه مجموعة السوارات الماسية .

وبعد برهة قصيرة انتقت زوجة فاسون أغلى وأنفس سوار فيما عرض عليها . وكان ثمنه تافهاً لا يزيد إلا قليلا على خمسة وعشرين ألفاً من الفرنكات . واستدعى مستر فاسون أحد خدم الفندق وأعطاه شيكا وأمره بأن يسرع إلى البنك لصرف قيمته .

وقال فرانسوا فوشيه مخاطباً التاجر :

— ألا تتناول قدحاً من الخمر ريثما يحضر الخادم بالنقود ؟

وكان مسيو بوديه يعلم أن من السماجة وقلة الذوق أن يرفض الكأس التى قدمها إليه هذا المليونير الأمريكى .

وأفرغ مسيو بوديه الكأس فى جوفه . . ومرت به ساعة كاملة لم يذكر شيئاً مما حدث فى خلالها . . وفى أثناء هذه الساعة كان مستر فاسون وزوجته قد غادرا الفندق إلى غير رجعة ومعهما مجموعة السوارات الماسية بأكملها . وكانت الصدمة الثانية التى أصابت مسيو بوديه معرفته بأن ليس فى البنك حساب باسم جيمس فاسون .

وكان هذا الحادث سبباً فى اجتماع سريع عقد فى مكتب مدير الأمن العام حضره اثنان من رجاله أحدهما مسيو بيشو كبير مفتشى البوليس والثانى مسيو بروكيه المفتش الشاب .

وبعد حوار قصير لخص المفتش بيشو رأيه فى هذه الكلمات :

— من المؤكد أن هذا الأمريكى جيمس فاسون ليس إلا المحتال الشهير فرانسوا فوشيه . ولدى نظرية صغيرة أحب أن أعرضها عليكما

وهى : فوشيه وأونيه صديقان قديمان فإذا كان أونيه يتخذ تاجر المسروقات الذى نسميه المروج الكبير أداة لتصريف مسروقاته فإن من المحتمل جداً أن يكون المروج الكبير هو نفسه الذى يتولى تصريف مسروقات فوشيه . . وإنى أعرف المسكن الذى يقيم فيه فوشيه فأريد تصريحاً بالاتصال به ومحاولة انتزاع اعتراف منه بصفة غير رسمية .

فقال مدير الأمن العام متسائلا :

— ولماذا لا تقبض عليه وتستجوبه بالطريقة العادية . . ؟

فقال بيشو فى صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :

— إذا قبضنا عليه ذهبنا به إلى مخفر الشانزلييه . . وهناك سيقتل ولست أريد أن يقتل . . !

واحمر وجه المفتش بروكيه عند سماعه هذا الكلام فإن مخفر الشانزلييه يقع فى دائرة اختصاصه ففى كلام بيشو تعريض واضح به وبكفاءته .

وكان المفتش ماريل بروكيه فى مقتبل العمر لا تعدو سنه الثلاثين ومن تلك الفئة من رجال البوليس التى تسمى نفسها المدرسة الحديثة . . وقد تخرج أفرادها على يد الكونت ترينيه الذى كان يعتقد أن البوليس السرى رجل فنى ينبغى أن يدرس مهنته على الأوضاع الفنية الحديثة معتمداً على النظريات والأبحاث العلمية . وأن مهنة البوليس السرى كالطب أو الهندسة أو التجارة مهنة لها أصولها وقواعدها . وأن الطبقة

العتيقة من رجال البوليس السرى يجب أن تمحى وتنسف نسفاً ليحل محلها أولئك الشبان المثقفون .

وكان المفتش بيشو على العكس من ذلك من تلك الطبقة العتيقة التى يدعو بروكيه إلى هدمها ونسفها . . فكان طبيعياً أن يثور الخلاف بين الرجلين وأن يغتنم كل منهما الفرصة للتعريض بصاحبه وغمزه .

والتفت مدير إدارة الأمن العام إلى المفتش بروكيه وقال :

— ما رأيك فى هذا الاعتراض يا بروكيه . . ؟

فهز بروكيه كتفيه فى استخفاف وقال :

— انه فى رأيى اعتراض لا أهمية له . أنى أعتقد أن فرانسوا فوشيه لن يتكلم سواء بصفة رسمية أو غير رسمية لأن مصرع جان أونيه لابد أن يكون قد ألقى الرعب فى قلبه .

فقال بيشو معترضا :

— وهل يعرف فرانسوا فوشيه أن أونيه قتل لأنه أراد أن يشى بالمروج الكبير . . ؟

فقال المفتش بروكيه :

لو أن المفتش بيشو عرف ما يتردد فى أوساط اللصوص والمجرمين لعرف أنهم يقولون أن أونيه إنما قتل لأنه كان ينوى أن يصبح مرشدا

فقال بيشو فى تهكم :

— وعلى أية حال فهذا سبب آخر يدعونى إلى عدم إرساله إلى مخفر

وهى : فوشيه وأونيه صديقان قديمان فإذا كان أونيه يتخذ تاجر المسروقات الذى نسميه المروج الكبير أداة لتصريف مسروقاته فإن من المحتمل جداً أن يكون المروج الكبير هو نفسه الذى يتولى تصريف مسروقات فوشيه . . وإنى أعرف المسكن الذى يقيم فيه فوشيه فأريد تصريحاً بالاتصال به ومحاولة انتزاع اعتراف منه بصفة غير رسمية .

فقال مدير الأمن العام متسائلا :

— ولماذا لا تقبض عليه وتستجوبه بالطريقة العادية . . ؟

فقال بيشو فى صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :

— إذا قبضنا عليه ذهبنا به إلى مخفر الشانزلييه . . وهناك سيقتل ولست أريد أن يقتل . . !

واحمر وجه المفتش بروكيه عند سماعه هذا الكلام فإن مخفر الشانزلييه يقع فى دائرة اختصاصه ففى كلام بيشو تعريض واضح به وبكفاءته .

وكان المفتش ماريل بروكيه فى مقتبل العمر لا تعدو سنه الثلاثين ومن تلك الفئة من رجال البوليس التى تسمى نفسها المدرسة الحديثة . . وقد تخرج أفرادها على يد الكونت ترينيه الذى كان يعتقد أن البوليس السرى رجل فنى ينبغى أن يدرس مهنته على الأوضاع الفنية الحديثة معتمداً على النظريات والأبحاث العلمية . وأن مهنة البوليس السرى كالطب أو الهندسة أو التجارة مهنة لها أصولها وقواعدها . وأن الطبقة

العتيقة من رجال البوليس السرى يجب أن تمحى وتنسف نسفاً ليحل محلها أولئك الشبان المثقفون .

وكان المفتش بيشو على العكس من ذلك من تلك الطبقة العتيقة التى يدعو بروكيه إلى هدمها ونسفها . . فكان طبيعياً أن يثور الخلاف بين الرجلين وأن يغتنم كل منهما الفرصة للتعريض بصاحبه وغمزه .

والتفت مدير إدارة الأمن العام إلى المفتش بروكيه وقال :

— ما رأيك فى هذا الاعتراض يا بروكيه . . ؟

فهز بروكيه كتفيه فى استخفاف وقال :

— أنه فى رأيى اعتراض لا أهمية له . أنى أعتقد أن فرانسوا فوشيه لن يتكلم سواء بصفة رسمية أو غير رسمية لأن مصرع جان أونيه لابد أن يكون قد ألقى الرعب فى قلبه .

فقال بيشو معترضا :

— وهل يعرف فرانسوا فوشيه أن أونيه قتل لأنه أراد أن يشى بالمروج الكبير . . ؟

فقال المفتش بروكيه :

لو أن المفتش بيشو عرف مايتردد فى أوساط اللصوص والمجرمين لعرف أنهم يقولون أن أونيه إنما قتل لأنه كان ينوى أن يصبح مرشدا

فقال بيشو فى تهكم :

— وعلى أية حال فهذا سبب آخر يدعونى إلى عدم إرساله إلى مخفر

الشانزليه . . سأزوره بصفة غير رسمية وأحاول أن أقنعه بأنه إذا اعترف فلن يعلم أحد بأنه هو صاحب الاعتراف لأن الأمر سيظل سرا بيننا .

وأخذ الرجال الثلاثة يتداولون فى هذه الخطة برهـــة من الوقت وأخيرا أذن المدير لبيشو بأن يقوم بهذا الاستجواب غير الرسمى وقال له

— ويحسن بك أن تستصحب معك المفتش بروكيه فقد ينفعك .

وهكذا غادر الرجلان إدارة الأمن العام واحدهما باسم الثغر مشرق الوجه والآخر عابس متجهم .

وكان تذمر بيشو راجعا إلى سببين : أولهما أنه يمقت بروكيه ويمقت أن يشركه معه فى عمل من أعماله . . وثانيهما أنه كان يعتقد أن المروج الكبير هو ميدانه الخاص وليس لأحد سواه أن يقحم نفسه فى هـــذا البحث .

ولذلك كان أول شىء فعله بيشو وهو يطرق باب فرانسوا فوشيه أن التفت إلى المفتش بروكيه قائلا :

— عليك أن تلزم الصمت ودعنى أستجوب فوشيه بطريقتى الخاصة . إن لى طريقة سأعرف بها كيف أنتزع الكلام من فوشيه

فأصلح بروكيه رباط رقبته وقال وهو يتثاءب :

— كما انتزعت بها الكلام من أرسين لوبين . !

وعض بيشو على شفته غيظا وحنقا ولم يجب

وحين لبى فرانسوا فوشيه رنين الجرس وفتح الباب حملق فى المفتش

بيشو مذهولا وحاول أن يوصد الباب فى وجهه . ولكن بيشو دفع قدمه بين الباب والجدار وهو يقول :

— إنى ماجئت لأقبض عليك فلا تثر ضجة لاضرورة لها

وعند ماجلسوا فى قاعة الاستقبال نفض فرانسوا فوشيه رماد سيجارته وقال وهو يتظاهر بالثبات :

— ما الداعى لهذه الزيارة يامسيو بيشو ؟

فقال بيشو فى برود :

— أن الداعى يتوقف عليك أنت . فقد يكون بسبب سوارات ماسية سرقت من بوديه . وقد يكون الداعى لسبب آخر

فرفع فوشيه حاجبيه دهشة وقال : لست أدرى عما تتكلم يامسيو بيشو

فقال بيشو وهو يتثاءب كأنما ينوى أن ينام :

— وهل تستطيع أن تفهمنى إذا قلت لك أن بوديه تعرف على صورتك عند ماعرضت عليه . ؟ وأن نصف الفندق على استعـــداد لتأييده ؟

ولبث فوشيه صامتا إذ لم يكن لديه مايفند به هذا الدليل

واسترسل بيشو قائلا :

— ومع ذلك فإنى على استعداد لأن أنسى هذا الحادث إلا إذا اردت أنت أن تذكرنى به . لقد جئت لأتبادل معك حديثا قصيرا . . وفى وسعنا أن نتبادل هذا الحديث هنا . . بين جدران هذه الغرفة . .

دون أن يعلم أحداً بما جرى بيننا .. وبعد ذلك سيصبح هذا الحديث نسيا منسيا . فما رأيك ؟

وكانت الابتسامة التى اشتهر بها فرانسوا فوشيه قد غاضت من وجهه وارتسمت فى عينيه إمارات القلق والانزعاج .. كان يعلم أنه فى ورطة حرجة وأن لاسبيل له إلى الفرار .. لو أن بيشو وصل بعد نصف ساعة لما وجد له أثرا ولألفاه قد غادر فرنسا إلى سويسرا .. أما الآن فما العمل .؟

وتنهد فوشيه وقال :

— أنك يامسيو بيشو صديق قديم .. فالحديث معك يلذ لى .. فماذا تريد ؟

— أكنت تنوى أن تبيع المسروقات إلى المروج الكبير ؟

فأخذ فوشيه نفسا طويلا من سيجارته ثم قال مجيبا فى حذر .

— أظننى قد سمعت بهذا الاسم من قبل .

وعلى الرغم من أن المفتش بيشو كان لايزال يتثاءب متظاهرا بقلة الاكتراث إلا أنه كان قد أخذ الغرفة ومحتوياتها بنظرة شاملة سريعة فرأى فى ركن منها قطعة من الورق الأسمر الذى يستعمل للف الطرود وإلى جانبه قطعة من الخيط . قال :

— إذن فقد تخلصت من سوارات بوديه اليس كذلك .. ؟ كل ما أبغيه منك هو أن تذكر لى العنوان الذى أرسلت إليه الطرد .

فأجاب فوشيه فى كلمات بطيئة

— نعم .. لقد أرسلت طردا صغيرا منذ برهة قصيرة .. وكان معنونا إلى ..

ولكنه لم يقل إلى أى مكان كان الطرد معنونا

سمع المفتش بيشو دوى الطلق النارى خلفه . ورأى فرانسوا فوشيه يرفع يده إلى رأسه ثم يترنح ويسقط على الارض .. وفى نفس اللحظة سمع بيشو صوت الباب وهو يغلق خلفه فدار على عقبيه وهو لايكاد يصدق ماسمعت أذناه

وكان المفتش بروكيه واقفا على مقربة من الباب فكان أسرع إليه من رئيسه ففتحه وانطلق إلى الخارج وفى أثره بيشو فأخذا يهبطان الدرج مسرعين .. وحين بلغا الباب الخارجى وجداه مغلقا ففتحاه وخرجا إلى الشارع يبحثان عن المعتدى الجرىء فانطلق بيشو إلى اليمين ومضى بروكيه إلى اليسار .

كان الطريق يكاد يكون خاليا من المارة .. كانت هناك امرأة عجوز محدودبة الظهر تمشى الهوينا . وكان هناك غلام ينادى على مايحمل من صحف .. وكانت هناك فتاة تتأبط ذراع صديقها وهما ذاهلان عما حولهما .

وعند ما التقى المفتشان بعد بضع دقائق التفت بيشو إلى بروكيه قائلا .

— ألم تره ؟

فقال بروكيه فى بأس

— لم أر إلا ظهره وأنا أهبط السلم .. ولكنه بلغ الباب الخارجى وأوصده فلما صرت فى الطريق لم أدر الوجهة التى اتخذها .

وتنهد بيشو فى قنوط وقال

— فلنصعد إلى المسكن لنرى ماحدث .

ولكنه كان يعرف ماحدث حتى قبل أن يصعد .

كان يعرف أن فرانسوا فوشيه قتل لأنه أراد أن يتكلم كما قتل جان أونيه من قبل

ولكن هذه الجريمة الجديدة ستجعله هدفا صالحا لحملات الصحف ولتعنيف رؤسائه . إذ كيف يقتل فوشيه بين سمعه وبصره دون أن يملك حمايته أو على الأقل دون أن يقبض على القاتل قبل أن يتمكن من الفرار

على أن الشىء الذى كان يضايقه بنوع خاص هو معرفته بأن ماريل بروكيه سيكون أول من يضحك عليه ويهزأ به .. فصعد الدرج وهو يتميز غضبا وغيظا

ولكنه لم يكد يدخل القاعة حتى تسمر فى مكانه مذهولا وقد جحظت عيناه فلو أن شخصا رآه فى هذه اللحظة لاعتقد على الفور أن المفتش بيشو أصيب بلوثة أطاحت بعقله

— ٢ —

لم تكن جثة فرانسوا فوشيه موجودة فى الغرفة .!

تلك هى الحقيقة الصارخة المذهلة التى كان على المفتش بيشو أن يستوعبها .!

على أن الأمر لم يكن قاصرا على هذا .. ففى المقعد الذى كان فرانسوا فوشيه جالسا عليه حين أطلقت عليه الرصاصة — كان يجلس رجل آخر ، رجل كانت رؤيته كفيلة بأن تدفع الدم حارا فى عروق بيشو .. لأن هذا الرجل لم يكن إلا جيمس بارنيت

وظل بيشو بضع لحظات وهو يحاول أن يتكلم دون أن يسعفه الصوت .. فلما أتته الكلمات قال فى نبرات متهدجة مخنوقة :

— تعال بارنيت .! إنى أريدك

ونهض بارنيت واقفا فى تراخ وكسل وتناول من جيبه سيجارة أشعلها .

وقال فى بساطة وهدوء :

— مرحبا بك يابيشو ! ما الذى جاء بك .. ؟

فنظر إليه بيشو فى حنق وصاح فى صوت مبحوح :

— إنى أريد أن أعرف ما الذى جاء بك أنت ؟

فكان جواب بارنيت :

— جئت أزور صديق العزيز فرانسوا فوشيه .. ولكن يظهر أنه غائب عن الدار .. إلا إذا كنت قد سبقتنى وقبضت عليه وأرسلته إلى السجن ..!

ويجب أن نعترف بأن المفتش بيشو يستطيع فى بعض اللحظات أن يكظم غيظه ويتحكم فى أعصابه بطريقة تثير الإعجاب ..

قال فى هدوء لا يكشف عن الثورة التى تضطرم فى صدره :

— إنى أريد أن أعرف من الذى سبق صاحبه منا .. ؟ لقد قتل فرانسوا فوشيه .

فرفع بارنيت حاجبيه دهشة وقال : — حقا .! أن الأمر مثير .!

وأومأ بأصبعه إلى المفتش بروكيه وهو يقول :

— وهل هذا الشاب المتأنق هو القاتل ؟

فقال بيشو مجيبا :

— هذا هو المفتش بروكيه من رجال البوليس السرى

وصمت لحظة ثم استطرد :

— وأظنك ستنبئنى بأنك جئت تزور فوشيه لتتحدثا عن الجو ؟

فقال بارنيت فى بساطة :

— كلا بالطبع .. إنك تعرف يا بيشو أنى لا أحب أن أكذب عليك

جئت أزوره لأسأله عن سوارات ماسية سرقت من بورديه بعد ظهر اليوم .. وكان فى نيتى أن أصف له حالة بورديه وما انتابه من اليأس الشديد بسبب سرقة هذه الجواهر .. ولكن لم يكن فى نيتى بأية حال من الأحوال أن أطلق عليه النار .

فقاطعه بيشو فى لهفة قائلا :

— وكيف عرفت أن النار أطلقت عليه .؟

— إنى لم أقل أيها الشرطى الذكى النبيه أن النار أطلقت على فوشيه وإنما قلت أنه لم يكن فى نيتى أن أطلق عليه النار .. إذن فقد أطلقت عليه النار ؟

فتردد بيشو برهة ثم قال . — نعم .

— ومتى كان ذلك .؟

— الآن توا

— وهل استطعت أن تكتشف الجريمة بمثل هذه السرعة ؟

وقطب بيشو جبينه وأخذ يتفرس فى وجه بارنيت وينظر فى حنق إلى هاتين العينين الحافلتين بالتهكم والسخرية . ثم قال

— قتل فرانسوا فوشيه فى هذه الغرفة بالذات . ومنذ أقل من خمس دقائق . لقد فتح القاتل الباب وأطلق عليه رصاصة بينما كنت أتحدث إليه .. وأصابته الرصاصة فى نفس اللحظة التى كان يوشك فيها أن يفضى إلى بسر خطير كنت أسعى إلى اكتشافه ..

ثم أردف بيشو يقول فى كلمات بطيئة

— وأريد أن أعرف ماذا كنت تفعل فى ذلك الوقت ؟

فابتسم بارنيت فى وداعة وقال . — أهذا تهديد أم رجاء .. ؟

— إنه ماشئت . ! إن فرانسوا فوشيه لم يطلق الرصاص على نفسه وأريد أن أعرف من الذى اطلق عليه النار .

— وأنا موقن ياعزيزى من أنك ستكتشف القاتل . وعهدى بك انك الوحيد الذى تكتشف مثل هذه الاشياء . ولاعجب فى ذلك ولك هذا الذكاء الحاد الباهر .. هل فكرت ياترى فى المروج الكبير .. ؟

فأحنى بيشو رأسه قائلا : — نعم فكرت فيه .

وقال المفتش بروكيه فى شيء من الريبة .

— وماذا تعرف أنت عن المروج الكبير .. ؟

فتناول بارنيت سيجارة أشعلها ونظر إلى بروكيه برهة ثم قال :

— إن ماعرفه عنه قليل وكثير .. انك تعرف طبعا إنى أبحث عنه منذ زمن طويل .

فقال المفتش بيشو :

— وما هى غايتك من البحث عن المروج الكبير .. ؟

— لقد قتل رجلين .. فهل تريد أن تقول أنك لاتتمنى أن تراه ماثلا أمام محكمة الجنايات .. ؟

فهز بيشو رأسه فى تهكم قائلا :

— معنى ذلك إنك تبحث عن المروج الكبير خدمة للعدالة . ! إنك تعلم يابارنيت إنى لااصدقك فاعترف بالحقيقة .. قل أنك تعلم أن المروج الكبير يحتفظ بالجواهر المسروقة التى تصل إليه حتى إذا اجتمع له منها قدر كبير أرسله إلى الخارج . وأنت تعلم أيضا انه يحتفظ لديه بمبالغ ضخمة ليشترى بها مايعرض عليه . فقل إذن انك تريد ان تظفر بهذه الجواهر وبهذه الأموال .

أتحسبنى غافلا عما يجول فى خاطرك ؟ أتحسبنى اجهل اللعبة التى تدبرها انك تعرف المروج الكبير .. ولكنك لاتعرف مايفعله بالجواهر ولا تعرف المكان الذى يحتفظ فيه بالمال .. وهذا هو ماتسعى الآن لمعرفته قبل أن تسوقه إلى السجن .. فإذا ماوصلت إلى هذه المعلومات ارشدت البوليس عنه فى نفس الوقت الذى تستولى فيه على جواهره وأمواله ، وهـــذا هو السبب الوحيد لاهتمامك بالمروج الكبير . إن اهتمامك لايرجع إلى أنه قتل رجلين وإنما إلى علمك بما لديه من مال وجواهر .

فقال بارنيت فى صراحة :

— يجب أن اعترف بأن مقتل هذين الرجلين لايمكن أن يعـــد خسارة فادحة .. ولكن خبرنى .. ماهى غايتك من هـذه المحاضرة المؤثرة .. ؟

فقال بيشو فى لهجة تهديدية :

— غايتى هى أن أذكرك بأن فى هذه البلاد قانونا يعاقب على العمل الذى تنوى أن تقوم به

فرفع بارنيت حاجبيه فى دهشة وقال وهو يتفرس فى وجه الشرطى

دعنى أذكرك بدورى بأن فى هذه البلاد قانونا يعاقب على هذه الأقوال التى تنطق بها لأن فيها تهجما على الكرامة واتهاما كاذبا لا اساس له .

ومع ذلك فلنحاول أن نفهم ماتقول . . انك تقول ان رجلا قتل فى هذه الغرفة . ونفهم من كلامك أنك تعتقد أنى انا القاتل . أو انى على الاقل على علم بسر الجريمة . فأول مسألة تخطر بالبال هى ضرورة التأكد من أن هذا الرجل قتل حقيقة فأين هى الجثة ؟

فقال بيشو فى لهجة صارمة :

— نعم .. أين الجثة ؟ هذا هو ماأريد ان أصل إليه .. كانت الجثة هنا حينما خرجت من الغرفة .. فلما عدت وجدتها قد اختفت ووجدتك هنا بدلا منها .

فقال بارنيت محتجا .

— بيشو . ماذا دهاك ! اتعتقد أنى من هواة خطف الجثث ؟

إنك تسألنى عما حدث لجثة فرانسوا فوشيه اعتقادا منك أنى لابد أن اكون قد فعلت بها شيئا .. ولكن إذا لم يكن فى وسعك ان تبرز الجثة .. فكيف يمكنك ان تكون على يقين من انه كانت هناك جثة . ؟

الا يجوز ان يكون القتيل قد بعث حيا وأن الرصاصة لم تصب منه مقتلا فغادر المكان حين افاق من إغمائه وانت خارج البيت . ؟ كيف تثبت أن هناك جريمة ارتكبت . ؟

ووضع بارنيت يده على كتف المفتش بيشو ، وقال فى رفق — اظن انك اقتنعت ياعزيزى بيشو

فهل استطيع الانصراف الآن ؟

فقال بيشو فى امتعاض .

— يمكنك ان تنصرف . ولكننى سأعرف كيف اجدك حين احتاج إليك .

فقال بارنيت وهو يتناول قبعته ويضعها على رأسه .

— وانا ايضا سأعرف كيف اجدك حين احتاج إليك فإلى اللقاء ياعزيزى بيشو .

كان خروجه فى هذه المرة شبيها بعشرات من مرات سابقة شهدها بيشو بنفس الألم والحزن .

ولكنما انصرف عن التفكير فى بارنيت إلى إصدار الأوامر والتعليمات لموظفى تحقيق الشخصية الذين استدعاهم لالتقاط ماقد يكون فى المسكن من بصمات .

ولم يكن عسيرا على بيشو أن يدرك الطريقة التى صعد بها القاتل إلى المسكن .. ففى الجزء الخلفى من المسكن يقوم سلم للحريق تسلقه القاتل بلا

شك ووثب منه إلى الحمام من خلال النافذة . . ولم يكن أهون عليه إذ ذاك من أن يفتح باب الغرفة فيطلق النار على فوشيه بينما كان بيشو منهمكا فى استجوابه موليا ظهره نحو الباب

وكان بيشو معتقدا أن الذى قتل فرانسوا فوشيه إنما هو بعينه الذى قتل جان أونيه . . أى الشخص الذى يهمه أن يخرسهما إلى الأبد حتى لا يظفر منهما البوليس بأى اعتراف .

وكان واضحا أن الرجل الذى يهمه أن يفعل ذلك إنما هو المروج الكبير نفسه .

— ٣ —

حين خرج بارنيت أو على الأصح أرسين لوبين إلى الطريق لم يستدع احدى سيارات التاكسى وأخذ يتمشى على الأفريز ومرت به سيارة وقفت عنده فجأة فصعد إليها وغاص فى المقعد الأمامى وتابعت السيارة طريقها مسرعة وما لبثت أن غابت عند منعطف الطريق .

وكانت باميلا مارلو صديقة لوبين هى التى تتولى قيادة السيارة .

وارسلت إليه نظرة خاطفة وقالت :

— ماذا هناك . . ؟ أبدأت الحرب ثانية ؟

فضحك لوبين وقال :

— وأكبر ظنى أنك لا تدركين شيئا من أسرار هذه الحرب . . ؟

— هذا صحيح

ثم أردفت قائلة : كل ما أعلمه أنك . . جئت تزور فرانسوا فوشيه لتسأله عن سوارات مسروقة . . وقد دخلت إلى البيت ومعك بيكار . . وبعد لحظات خرج بيكار يحمل جثة . . وبعد فترة من الوقت خرجت أنت أيضا وعلى وجهك أمارات الابتهاج كأنك كنت تشهد رواية هزلية فلا غرابة بعد هذا إذا استولى على الفضول وتمنيت أن أعرف شيئا مما يجرى وراء الستار .

وتناول لوبين من علبته سيجارة أشعلها وقال :

— إنك محقة فى فضولك . . فالجثث لا تخطف فى كل يوم . ولكننى كنت أحسب أن بيكار قد أماط لك اللثام عن كل شىء .

وأرسل لوبين بصره إلى الراكب الذى كان جالسا فى المقعد الخلفى . ولكن الراكب لم يزد على أن نظر إليه فى بلاهة وقال :

— الحق يا رئيسى إنى لا أعرف شيئا مما يجرى وراء الستار .

وبيكار لم يكن جميلا فى يوم من الأيام حتى عندما كان طفلا . . كانت بوجهه آثار قديمة العهد تدل على أنه تلقى على هذا الوجه ضربات لا حصر لها غيرت معالمه فلم تبق منها إلا العينان .

وعلى الرغم من أن لوبين كان يحب بيكار إلا أنه لم يكن فى وسعه أن يشهد له بالذكاء بأى حال من الأحوال .

وأدرك لوبين وهو ينظر إليه أن من المستحيل على من كان فى مثل

بلاهة بيكار أن يميط اللثام عن شيء وأن يفهم باميلا سر اللعبة مادام هو نفسه لا يستطيع أن يفهمها .

وحول لوبين بصره عن بيكار وأرسله إلى الراكب الثانى الغائب عن الصواب والذى كان طريحا فى قاع السيارة عند قدمى بيكار و... مخاطبا باميلا :

ـــ هذا هو فرانسوا فوشيه .

فقالت الفتاة وقد كاد صبرها أن ينفذ :

ـــ لقد استطاع بيكار أن يخبرنى بذلك .. ولكن أكان من الضرورى أن تختطف جثة قتيل ... ؟

ـــ ان الحكاية على غاية من البساطة .. لقد تسلقنا سلم الحريق أ... وبيكار ووثبنا منه إلى الحمام كما كانت خطتنا .. ولكن لم تكد قدمى تستقر فى داخل المسكن حتى سمعت صوت صديقى العزيز المفتش بيشو وهو يتحدث إلى فرانسوا فوشيه .. ويظهر أن بيشو كان قد استطاع أن يقنع فوشيه بأن يتكلم .. ودنوت من الغرفة وأنا أرهف السمع وحاولت أن أنظر من خلال ثقب الباب .. ولكن فى هذه اللحظة دوى طلق نارى داخل الغرفة فاسرعت بالاختباء فى الحمام وسمعت وقع أقدام مسرعة تهبط السلم ثم صوت الباب الخارجى وهو يصطفق فلما أيقنت أن بيشو انطلق إلى الشارع ليطارد القاتل خرجت من مخبأى وعدت إلى الغرفة .

وسكت لوبين برهة ثم استرسل قائلا :

ـــ كان فرانسوا فوشيه طريحا على الأرض فانحنيت فوقه لأفحص جرحه فوجدته سليما لم يمسسه سوء . وكل ما هنالك أن الرصاصة أصابت أعلى رأسه ومرت بين الشعر فخدشت الجمجمة خدشا خفيفا دون أن تستقر فيها . ولكن تأثير الصدمة الناشئة عن الرصاصة هو الذى أدى إلى إصابته بالإغماء فظن بيشو أنه قتل .. وهنا طرأت لى الفكرة النيرة .

فقالت الفتاة :

ـــ بودى أن أعرف ما هى هذه الفكرة النيرة .

فقال لوبين يسألها فى لهجة تدل على الاستغراب :

ـــ عجبا . ! ألم تفطنى بعد إلى هذه الفكرة النيرة . ؟ اصغى إلى .. هذا فرانسوا فوشيه يهم بالوشاية .. وهذا شخص يطلق عليه النار ليقتله . فلماذا . ؟ ان الوشاة لا يقتلون عادة فى هذه البلاد لأن الثرثرة ليست جريمة يعاقب عليها الناس .. فالدافع إلى قتل فرانسوا فوشيه لابد أن يكون راجعا إلى أنه يعرف سرا خطيرا .. ولكن الذى أطلق عليه النار لم تتسع له الفرصة للتحقيق من نتيجة الرصاصة التى أطلقها .. هل قتله . ؟ أم جرحه . ؟ أن المفتش بيشوا نفسه فى حيرة من أمره لا يدرى جوابا لهذا السؤال .

ـــ ولكن من هو القاتل ؟

— ومن يمكن أن يكون غير صاحبنا المروج الكبير الذى يع
فى هذه الأيام مثار الالتفات والاهتمام ؟ .

وانطلقت باميلا بالسيارة إلى اليمين متجهة إلى حى مونمارتر وجعل لوبين يرقبها وهى تقود السيارة . . كانت نسمات الهواء تغمر وجهها فى رفق ودعة . وخصلات شعرها تتهدل على جبينها الوضاء . وفى المقعد الخلفى كان يجلس فرانسوا فوشيه وبيكار وكلاهما غا عن صوابه . . أما الأول فكان لايدرى شيئا مما حوله بتأثير الرصا التى اصابته . . أما الثانى فكان لايدرى بتأثير غفلته وبلاهته .

وظلت السيارة فى طريقها حتى بلغت حى مونمارتر فلما توسط وقفت أمام بيت أنيق المظهر اتخذه لوبين ملاذا له يلجأ إليه كلما ضي عليه رجال الشرطة الخناق .

وألقى لوبين نظرة على فرانسوا فوشية ثم قال مخاطبا بيكار :

— لا سبيل إلى نقله إلى داخل البيت إلا بواسطة الكرسى ذ العجلات .

والواقع أنه كان من الجرأة أن ينقل رجل أسير من السيارة إل البيت فى قلب باريس دون أن يثير هذا النقل انتباه المارة . . أما أ يوضع الأسير على مقعد ذى عجلات ويدفع إلى داخل البيت على أن مريض فأمر قد لايحرك التفات أحد من الناس وهذا هو ما حدث فعلا فقد احتمل لوبين وبيكار أسيرهما إلى المقعد ودفعاه إلى البيت

على عجل وأغلقا الباب دون أن يخطر لأحد ممن رآوه أن هذا الرجل جثة مخطوفة . . !

وقال لوبين مخاطبا بيكار :

— عليك بنشفة مبللة بالماء البارد وحاول أن تعيد الأسير إلى رشده .

فكان جواب بيكار أن قال :

— لقد استفاق ونحن فى السيارة ولكنى عاجلته بضربة من مقبض مسدسى فاستغرق فى النوم ثانية .

فتفرس فيه لوبين وهو يكاد يتفجر غيظا . وأيقن أن بيكار ليس مجردا فقط من الذكاء . ولكنه مجرد أيضا من الكياسة واللباقة فقد كان لوبين يرمى إلى أن يتقدم إلى فوشيه عندما يفيق على اعتبار أنه ملاكه الحارس ومنقذه المجهول من الموت الذى كان يترصده اكتسابا لثقته حتى يفضى إليه بما يعلم من أسرار المروج الكبير .

وانتبه لوبين من خواطره على تنهيدة عميقة مصحوبة بأنين صادرة من المقعد ذى العجلات فلما التفت وجـــد أن الأسير قد فتح عينيه وبدأ يتحرك .

وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة ظريفة وقال :

— مرحبا بك أيها الغريب !

— ٤ —

لم يكن يلوح على قرانسوا فوشيه إنه سعيد .

والعذر ملتمس له إذا عرفنا أن ليس فى الدنيا رجل يكون سعي
عندما تصيب جمجمته رصاصة تفقده الوعى فاذا ما أفاق تلقى على
رأسه ضربة من قبضة مسدس .

والتقط لوبين المنشفة المبللة بالماء وقال يخاطب فوشيه :

— هل انشط ذهنك من إغمائه أم لازلت فى حاجة إلى ما ينعشك
فنظر إليه فوشيه نظرات تنطوى على القحة فقال وفى ملامحه ما ين
بخوفه وفزعه :

— ماذا تريد منى ؟

إنى شخصيا أريد أن أتحدث معك . ولكن يلوح لى أن لبيكار رأيا آخ
فى الموضوع . . وبهذه المناسبة هل قابلت بيكار من قبل ؟ إنه فرن
بالاسم روسى بالمولد . . لقد ولد فى روسيا وأقام فيها ثلاثين سنة فت
على أيدى الفوضويين كل وسائل القتل وإلقاء القنابل وإطلا
الرصاص . . ويقال إنه قتل من أنصار الملكية ثلاثة آلاف شخص
ولكن بعض الناس يؤكدون أنهم ثلاثة آلاف وخمسة .

فصاح فوشيه فى وحشية قائلا :

— إنى أعرفه . . إنه هو الذى ضربنى على رأسى بقبضة مسدسه

فقال لوبين فى لهجة تنم عن الأسف :

— لقد أنبأنى بذلك . ولولا هذا لكان حديثنا الآن وديا . .
ولكن ما العمل وبيكار رجل شديد القسوة . ؟ نعم . . إن له غراما
بأن يضرب الناس بمسدسه . . فى بعض الأحيان يضربهم بمقبض
المسدس وفى بعض الأحيان بالفوهة .

فصاح فوشيه مقاطعا فى وحشية :

— من أنت . ؟ من أنت ؟

فابتسم لوبين وقال :

— إنى لوبين أيها الصديق العزيز . . ارسين لوبين . . طبعا هناك
إشاعات كثيرة يرددها عنى بعض الناس . وبعضهم يعتقد أنى أسطورة
من الأساطير لا وجود لها . . فقل لهم أيها الصديق العزيز أنك رأيت
ارسين لوبين بلحمه ودمه .

فبدا الخوف فى عينى فوشيه وهتف يقول وهو يرتعد فرقا :

— أنت ارسين لوبين . !

فأحنى لوبين رأسه وقال :

— هذا هو ما مضت ساعة وأنا أحاول أن أدخله إلى دماغك . .
نعم أننى ارسين لوبين .

— إنى أعرفك .. أنت المروج الكبير . !

— إنك مخطىء فى هذا .

— أنت القاتل الذى أطلق على النار منذ برهة .

فتناول لوبين سيجارة أشعلها ثم قال :

— أولى بنا ياصاح أن نتبادل حديثا وديا .. إنى لم أطلق عليك النا ولكنى كنت موجودا فى مسكنك عقب إطلاق الرصاص علي مباشرة . ولقد خطر لى أن الإقامة فى بيتك لم تعد تطيب لك فرأ برأ بك أن اختطفك وأنقلك إلى دارى .. والآن أريد منك أن تقص على ما تعرفه .

ودار فوشيه بعينيه فى أرجاء الغرفة حتى استقرت نظراته على وج لوبين ثم قال فى لهجة تنطوى على التحدى والعناد :

— إنى لا أعرف شيئا .. ولن أقول شيئا

— يلوح لى أنك لم تستفق تماما من إغمائك .. ومع ذلك فقد كنت على وشك أن تفضى إلى المفتش بيشو ببعض المعلومات . وبهذه المناسبة ألم تقابل مسيو بيكار من قبل . ؟ لقد حدث منذ بضع أيام أنه ..

— قلت لك انى لا أعرف شيئا . !

وتملل بيكار فى موقفه .. أنه على استعداد لأن « يرحب » بفوشي فلماذا يحول لوبين دونه ودون القيام بواجبه . ؟ ان العنف فى نظر

خير وسيـلة للتغلب على المشاكل المتعقده .

قال يحدث لوبين :

— هل « ارحب » به يا زعيمى ؟

وجذب لوبين نفسا طويلا من سيجارته ولم يجب . وفسر بيكار السكوت بأنه اذن بالعمل فاشتدت قبضته على ذراع فوشيه وثناها فى عنف فانقلبت سحنة المسكين وامتقع وجهه وصرخ متوجعا :

— انتظر .. انك تكاد تكسر ذراعى . !

فكان أن أجابه لوبين فى برود قائلا : ولماذا لا تتكلم ؟ ألا تعلم أن فى وسعى أن أنقذك وأحميك من العواقب التى قد تترتب على ثرثرتك . ؟ ان فى وسعى أن أجعلك تغادر فرنسا فى سلام فتستقر فى انجلترا وفى جيبك عشرة آلاف فرنك وأنا الضمين لك لن يلحقك أى أذى . ولست أظن أن المروج الكبير سيفكر فى أن ينطلق فى أثرك الى انجلترا . أما اذا رفضت أن تتكلم فسأترك لبيكار الحرية فى أن يفعل بك ما يشاء ،

وكان لوبين يتكلم فى لهجة الرجل الذى يذكر لصاحبه أن الجو بديع اليوم . ولكن البرود الذى يبديه بعث فى أوصال فوشيه رعدة وخوفا ..

وتمتم قائلا :

— تبا لك .. ! سأتكلم .. ! ولكن يجب أن تضمن لى سلامتى وتطلق سراحى .

— اذا ذكرت لى شيئا نافعا أطلقت سراحك .

وتكلم فوشيه فى صوت أجش قائلا :

— مطعم كوزيه .

فاومأ لوبين برأسه الى بيكار بأن يكف عن تعذيب الأمير قائلا :

— ترفق به قليلا يا بيكار

ثم انثنى الى فوشيه قائلا :

— هيه . . تكلم .

— انى لا أعرف شيئا آخر . . ألم أذكر لك أن . .

— هل سبق لك أن تعاملت مع المروج الكبير .

— نعم وهذا هو السبب فيما عرفت . .

كنت أتمنى أن أعرف من هو المروج الكبير فلما ظفرت باحدى الغنائم من الماس أودعتها طرداً صغيراً أرسلته إلى المروج الكبير بالعنوان الذى أعرفه ثم تواريت على مقربة من المكان لأتمكن من رؤيته إذا ما حضر لاستلام الطرد . . وكنت موفقاً إذ رأيته دون أن يرانى فأخذت أتعقب خطواته لاهتدى إلى مقره . . ولكنى لقيت فى طريقى صديقاً أخذ يتحدث إلى فشغلنى عن متابعة المروج الكبير ففقدت أثره .

— وما الذى حدث بعد ذلك . ؟

— قابلته صدفة فى اليوم التالى فى ذلك المطعم .

— مطعم كوزيه : ؟

فاحنى فوشيه رأسه ولعق شفتيه قائلا :

— أتسمح لى بقدح من البيرة . ؟

فاومأ لوبين إيجابا فغادر بيكار الغرفة ليعود بقدح فارغ . ونهض فوشيه واقفاً ودنا من المنضدة وتناول زجاجة البيرة الموضوعة عليها استعداداً لملء القدح الذى سيأتى به بيكار .

— فقال لوبين : وما الذى حدث بعد ذلك ؟

— لقد رأيته يضع طرداً فى جيب معطف معلق على المشجب .

وفى تلك اللحظة وقع حادث غريب لم يكن لوبين يتوقعه . .

كان فوشيه قد مد يده ليمسك بزجاجة البيرة ولكن بدلا من أن يقبض على قاعدتها أمسك بفوهتها . . وانتبه لوبين إلى هذه الحركة فى اللحظة التى رفع فوشيه يده بالزجاجة وطوحها فى عنف محاولا أن يصيب بها رأس لوبين . !

وفى حركة غريزية انحرف لوبين عن مكانه ومال برأسه قليلا . فمرت الزجاجة على مقربة من أذنه واصطدمت بالجدار فتحطمت وكان لها صوت أشبه بصوت انفجار القنبلة .

وقبل أن يعتدل لوبين وينهض واقفاً كان فوشيه قد غادر الغرفة راكضاً وأوصد الباب من الخارج .

واندفع لوبين فى أثره وخلفه بيكار الذى حضر مسرعا على صوت تهشم الزجاجة .

كان فرانسوا فوشيه يعتقد أن لا مخرج له من هذه الورطة التي وقع فيها .. أن تكلم قتل وإن سكت قتل .. نعم أنه يعتقد أن لارسين لوبين مقدرة خارقة على السير بوعده .. ولكنه لم ير ما يدعوه إلى الركون إلى وعد رجل مهما قيل في وفائه فقد يتسكت في هذه المرة .. فهداه تفكيره السقيم الذي كان متأثرا من الرصاصة التي أصابته إلى أن الفرار هو السبيل الوحيد إلى النجاة .

وحين بلغ لوبين باب بيته الخارجي كان فرانسوا فوشيه يجري في الطريق بملء سرعته .

وفي تلك اللحظة خرج من احشاء الظلام موتوسيكل ينهب الأرض نهبا وهو يطلق من محركه فرقعة تصم الآذان .

وترنح فوشيه وسقط على وجهه في اللحظة التي أخرج فيها بيكار مسدسه من جيبه . !

فقال لوبين :

— لا داعي لأن ترحب به فقد سبقك سواك إلى الترحيب به .

فقال بيسكار .

هل أنت الذي أطلقت عليه النار ؟

فهز لوبين رأسه نفيا :

ولما رجعا إلى الدار قال لوبين مخاطباً باميلا :

— يجب أن نرحل من هذا البيت سريعاً فقد قتل فوشيه .

— ولكن لم قتلته . ؟

— لست أنا الذي قتلته .. كان هناك من ينتظره خارج البيت على موتوسيكل في ركن الشارع .. ومن المحتمل أن المروج الكبير نفسه هو الذي كان راكباً الموتوسيكل .. لقد كنت أظن أن ليس هناك من يعرف هذا المنزل .. ولكن يلوح لي أن سره لم يعد مكتوماً فلا بد من الرحيل .

ثم أشعل سيجارة وقال :

— يظهر أن صديقنا المروج الكبير ليس من الطراز الذي يعرف التمهيل والانتظار .. وأغلب ظني أنه لم يكن ينتظر فوشيه فقط . وإنما كان ينتظرني أيضاً ليرحب بنا معاً

ثم تنهد وأردف في لهجة تدل على الأسف :

— إن موت فوشيه لم يحزنني إلا لشيء واحد وهو أني لم أظفر منه بالاعتراف كاملا .. ولكن حسبي أني عرفت أن المروج الكبير يتردد أحياناً على مطعم كوزيه .. ومن الآن فصاعدا سأتردد على هذا المطعم وأتناول طعامي هناك حتى اهتدى إلى المروج الكبير ولو أصبت بالتخمة .

— ٥ —

فى صباح اليوم التالى لم يكن للملايين من أهل فرنسا من حد

إلا عن مصرع فرانسوا فوشيه المزدوج . . ولم يكن للصحف من خ
تسوقه إلى الناس غير هذا بالعناوين الضخمة البارزة

ولكن بين كل هذه الملايين المدهشه المذهولة المتعجبة كان هنا
شخص واحد لم يذهل ولم يعجب ولم يندهش .

وهذا الشخص هو موريس جاستون .

ولكنه على الرغم من ذلك كان مهموماً يفكر فى هذه المسألة .

ولو أن شخصاً رآه وهو ماض إلى مكتبه فى الصباح لما خطر
أن مثل هذا الرجل قد يهتم بشيء أو قد يفكر فى شيء . . كان
وجه جامد كوجه رجال الأعمال التى صقلتها المحن والتجارب فعاد
كأنها منحوتة من الحجارة . . فهما اصطخبت العواصف فى القلب
فالتمثال جامد لا يتحرك .

وكانت هناك عواصف تصطخب فى القلب . . ولكن الوجه كان عل
عهده ساكناً .

كان موريس جاستون يفكر فى مصرع فرانسوا فوشيه . ولعله هو

الوحيد بين أهل فرنسا جميعاً الذى يستطيع أن يلقى ضوءاً على هذه الجريمة الغامضة التى حيرت إدارة الأمن العام وجعلت ضغط الدم يرتفع عند المفتش بيشو بدرجة تنذر بالخطر .

وحين وصل مسيو جاستون إلى مكتبه أمضى فيه ثلاث ساعات وهو منهمك فى العمل يجيب على مجموعة من البرقيات الواردة إليه من مختلف أرجاء العالم وهو يملى هذه الإجابات على سكرتيرته فى سرعة تدل على أنه حقاً من رجال الأعمال الذين لا يأبهون لجمال السكرتيرة أو دمامتها .

وبعد الساعة الثانية عشرة بقليل دق جرس التليفون فتناول السماعة ووضعها على أذنه . . ودون تمهيد أو مقدمات سمع صوتاً يقول له :

— فى أى مطعم ستتغدى اليوم ؟

ولم تبد على وجه مسيو جاستون ذرة من الدهشة لهذا السؤال المفاجىء . ولم يسأل محدثه عن شخصيته وإنما اجابه على الفور :

سأتغدى ثانية فى مطعم كورزيه .

فكان الجواب الوحيد الذى سمعه :

— حسنا .

ثم انقطعت المحادثة التليفونية .

ورد جاستون السماعة الى مكانها وأخذ يتابع املاء رسائله على

سكرتيرته فلما فرغ من عمله نهض واقفا وارتدى معطفه وقبعته وخرج .

وفى طريقه الى المطعم مرجحا نوت جوهرى فابتاع قطعتين من الماس ولفهما فى ورق رقيق ودسهما فى جيب صديريته

وعندما وصل الى مطعم كوزيه كان المكان غاصا بالعشرات من الكتبة ورجال الأعمال الذين أقبلوا يلتهمون ما اشتهر به هذا المطعم من اللحم المشوى .

وشق مسيو جاستون لنفسه طريقا بين الموائد ثم انتقى مائدة معينة فجلس اليها بعد أن علق معطفه وقبعته على المشجب ، ولما جيء له بالطعام نشر أمامه احدى الصحف وأخذ يطالعها دن أن يبدى أى اهتمام بمن حوله .

ولما فرغ من طعامه اختتم وجبته بقدح من الشاى ثم طوى الصحيفة ودفع أجر ما أكل ثم نهض واقفا ومشى الى الشماعة فتناول قبعته ووضعها على رأسه وارتدى معطفه .

وقد شعر وهو يرتدى المعطف بأن فى جيبه طرداً صغيراً ولكنه لم يدهش ولم يعجب للأمر كأنما كان يتوقع أن يجد الطرد فى جيبه . . بل لقد بلغ من عدم اكتراثه أنه لم يفكر فى أن يخرج اللفافة من جيبه ليفحص محتوياتها .

ولما رجع إلى مكتبه قال يخاطب سكرتيرته وهو يجلس على مقعده :

— عقدت صفقة كبيرة وأنا على مائدة الغداء . . لدى مجموعة كبيرة من الماس أريد ان أرسلها إلى أمريكا . . ويجب أن تسافر بالباخرة كوين الى تقلع فى صباح الغد فأرجوك أن تتصلى تليفونيا بشركة التأمين لاتخاذ الإجراءات اللازمة .

وبينما كانت السكرتيرة الدميمة تتحدث تليفونيا فض موريس جاستون اللفافه وأخرج منها مجموعة من ماسات كبيرة الحجم يخطف بريقها الابصار . وجعل يقلبها بين أصابعه برهة ثم فتح خزانته وأخرج منها مجموعة أخرى أضافها إلى الأولى . ثم أودع الماسات كلها صندوقاً صغيراً .

وكانت السكرتيرة قد فرغت من حديثها التليفونى فالتفتت إليه قائلة :

— سترسل الشركة مندوبها على الفور .

فأحنى مسيو جاستون رأسه وارتحل ببصره إلى الساعة المعلقة على جدار الغرفة .

لم يكن مسيو جاستون نهما محبا للطعام وإنما كان مدمنا مولعاً بالشراب ولطالما شعر وهو فى مكتبه برغبة ملحة تدفعه إلى مغادرة مقر عمله والإسراع إلى إحدى الحانات ليفرغ فى جوفه بضعة كؤوس من الشراب .

وفى تلك اللحظة شعر مسيو جاستون بهذه اللهفه إلى الخمر فنهض واقفاً وهو يقول :

— مدموازيل ريفيه . . إنى مرتبط بموعد هام . . ولذلك سأكل إليك

العناية بمسألة الجواهر وشحنها إلى أمريكا .

وكانت مدموازيل ريفيه تعرف حق المعرفة سر الموعد الهام المرتبط به مخدومها ، . كانت تعلم حنينه إلى الشراب إذ لم تكن هذه أول مرة يتركها فيها متنحلا هذا العذر .

وقالت الفتاة تسأله وهى تشيعه إلى الباب :

— وكم قيمة التأمين يامسيو جاستون . ؟

— سبعمائة وعشرون ألف فرنك .

وكان مسيو جاستون يفخر بدقته فى تقدير قيمة الجواهر التى يشحنها إلى أمريكا . فما من مرة قدر لها رقما إلا وافق مندوب شركة التأمين على هذا التقدير فلا يكون ثمة من خلاف بينهما يعدو الآلاف فرنك .

وماكاد مسيو جاستون يغادر البناء ماضيا إلى الحانة التى اعتاد أن يختلف إليها حتى دق الباب فى مقر مكتبه .

وأسرعت مدموازيل ريفيه إلى تلبية النداء فألفت أمامها شابا أنيق المظهر بادرها بقوله :

— أننى مندوب شركة التأمين

ففتحت السكرتيرة عن الباب وأذنت له بالدخول فقال لها :

— لقد حضرت بشأن الجواهر .

— إنى فى انتظارك . ولكنك حضرت مسرعا . ؟

— لقد كنت فى عمل آخر على مقربة من هذا المكان ودعتنى

الظروف إلى الاتصال بالشركة تليفونيا فانبأونى أنكم فى حاجة إلى فحضرت على الفور .

وتناولت مدموازيل ريفيه الصندوق الماسات وقدمته إليه قائلة :

— هذه هى الجواهر المراد شحنها .

فألقى عليها مندوب شركة التأمين نظرة عاجلة ثم قال :

— سألفها واحملها معى على الفور .

فقالت السكرتيرة فى شىء من الدهشة :

— تحملها معك . . !

— نعم . فهذه هى التعليمات الجديدة .. لقد قررت الشركة أخيرا أن تتولى بمعرفتها فحص الجواهر المطلوب التأمين عليها على أن يجرى ختمها بالشمع الأحمر فى مقر الشركة . . وقد صدرت هذه التعليمات بسبب بعض حوادث الغش التى كانت شركتنا فريسة لها فى العهد الأخير

فقالت المدموازيل ريفيه فى لهجة تدل على الاستغراب :

— ولكن مسيو جاستون عميل قديم لكم ومثله لايمكن أن يقدم على أى نوع من أنواع الغش .

— هذا صحيح .. ولكن التعليمات هى دائما .. وليس معقولا أن تضع الشركة قاعدة لتنفذها على عميل دون عميل . . ومع ذلك فالأمر كله لايعدو أن يكون مجرد رسميات . وسأعطيك إيصالا عن الجواهر ومنذ استلامى لها تكون الشركة مسئولة عنها وملزمة بدفع قيمة التأمين

إذا فقدت .

وجلس إلى المكتب وأخرج من جيبه ورقة بيضاء ليكتب عليها الإيصال المطلوب .

ولو أن شخصا آخر خلاف أرسين لوبين هو الذى يكتب هذا الإيصال لكان متعجلا متسرعا حتى يفرغ من هذه المهمة ويغادر المكتب والجواهر فى جيبه قبل أن يعود مسيو جاستون على غير انتظار وقبل أن يحضر مندوب الشركة . ولكنه كان متباطئا يحرر الإيصال على مهل حتى لا يثير بتسرعه شبهة مدموازيل ريفيه .

وقالت الفتاة .

— قيمة التأمين ٧٢٠ ألف فرنك .

فأجابها لوبين قائلا .

— حسنا .. سآخذ مفكرة بذلك .

ودون شيئا فى ورقة أخرى وضعها فى جيبه .

وكانت الفتاة فى أثناء ذلك قد فرغت من لف صندوق الجواهر فتناوله منها لوبين وأودعه فى جيبه .

ولكن مهمته لم تكن قد انتهت بعد .. حقيقة أن الجواهر فى جيبه ولكن الخروج من المكتب ليس سهلا . فان من المحتمل أن ..

وتفتق ذهنه عن حيلة ينفى بها ما قد يتطرق فجأة إلى نفس الفتاة من الشبهات فقال لها :

— ألديك ما يشغلك يوم السبت القادم .. ؟

وكانت عيناه تبتسمان وفيهما ظرف ورقة .

فحملقت فيه مدموازيل ريفيه وقالت :

— ولم تسأل .. ؟

فكان جوابه أن سألها قائلا :

— ألا تحبين جريتا جاربو .. ؟

وكان سؤاله مفاجأة لم تتوقعها فغمغمت تقول :

— أوه .. !

وتخضب وجهها احمرارا وارتعد بدنها فلم تكن المسكينة تعرف المغازلات ولم تعتد عليها ولها مثل هذا الوجه الدميم .

وقال لوبين مسترسلا :

— فليكن لقاؤنا فى ميدان المادلين فى الساعة السابعة مساء .

فأحنت رأسها وهى تبتسم ابتسامة جعلت لوبين يطلق ساقيه للريح فان ابتسامتها لم تزدها إلا بشاعة وقبحا .. !

ولما وصل إلى باب الغرفة أرسل إليها على أطراف أصابعه قبلة تركتها فى حالة من الذهول والنشوة جعلتها لا تفكر فى إلقاء نظرة على الإيصال الذى تركه موضوعا على المكتب .. ولو أنها قرأت هذا الإيصال أثناء وجوده لتغير الموقف إذ كانت الإمضاء غير مقروءة وليست فيه أية إشارة إلى شركة التأمين أو اسمها .. !

وهكذا لم تستفق مدموازيل ريتيه من نشوة المغازلة إلا بعد أن صار أرسين لوبين على مسافة غير قليلة من المكان. ولما قرأت الإيصال أدركت كل شيء وعرفت أنها وقعت فريسة محتال خدعها واستولى على الجواهر.

على أن حزنها على الجواهر المفقودة كان دون ريب أقل بكثير من حزنها على المغازل المفقود..! لقد عاشت طول عمرها تتمنى لو أنها سمعت كلمة غزل واحدة. والآن وقد جاء هذا الشاب الظريف ذو الشارب المستعار ليحدثها عن جريتا جاربو ويسألها أن ترافقه الى السينما

— الآن وقد جاء.. كيف تفقده بمثل هذه السرعة..!

ولم يمض لوبين بالجواهر الى بيته وإنما ذهب الى محل يشحن الطرود فلف الصندوق فى ورق أسمر وكتب عليه اسم مسيو اندريه شوتان يحفظ بشباك بريد بوستة ميدان لا كونكورد..

— ٦ —

أشد ما كانت دهشة لوبين عندما عاد الى داره ووجد المفتش بروكيه فى انتظاره وقد فاجأه بروكيه بقوله:

— أتعرف رجلا يدعى موريس جاستون؟.

فقال لوبين فى لهجة بريئة:

— موريس جاستون.؟ إنى ما سمعت بهذا الإسم من قبل.. ما

مهنته.؟ هل هو ذلك الشخص الذى تنوى الحكومة أن تعينه لكى يعد النجوم.؟

فلم يعبأ بروكيه بهذا التهكم وقال مسترسلا:

— فى الساعة الثالثة إلا ربع بعد ظهر اليوم دخل مكتب مسيو موريس جاستون رجل ادعى أنه مندوب شركة التأمين الإنجليزية واستولى على جواهر قيمتها ٧٢٠ ألف فرنك.

فرفع لوبين حاجبيه دهشة وقال:

— ٧٢٠ ألف فرنك.! الحق أنها ضربة قاصمة للظهور.! لاشك أن مسيو موريس جاستون ينتف شعره الآن حزنا:. ولكن لماذا تقص على هذه الحكاية.؟ أتريد أن أمد إليك يد المساعدة للبحث عن الجواهر.

وكان لوبين يتكلم بلهجة بريئة تدل على أنه خالى الذهن من هذا الحادث ولا يعرف عنه شيئا.. ولقد كان المفتش بيشو معتادا على مثل هذه المواقف فيقابل انكار لوبين بهدوء تام ثم يضرب كفا بكف ويغادر المكان لا يلوى على شيء. أما بروكيه فكان مثل هذا الإنكار جديدا عليه.. ولذلك احمر وجهه ثم اصفر ثم احمر ثم قال:

— ماذا كنت تفعل فى ذلك الوقت؟

فأخرج لوبين صندوق سجائره وهو يقول:

— ماذا كنت أفعل فى ذلك الوقت.؟ كنت فى سينما فرنسيه

انفرج على احدى روايات لوريل وهاردى . . ولكن ماهى العلاقة بين ذلك وبين سرقة جواهر موريس جاستون ؟

وعلى حين بغتة أمسك البوليس السرى برسغ ارسين لوبين وازاح كم القميص قليلا وهو يقول :

— إنى أريد أن أرى ساعدك . ! إن مدموازيل رينيه أى سكرتيرة مسيو جاستون تقرر أن لمندوب شركة التأمين المزيف ندبا برسغه الأيمن من أثر التحام جرح قديم . وقد فطنت إلى هذا الندب حين كان المندوب يتناول منها الطرد . وكان هذا الندب هو الوصف الجوهرى الذى سيتيح لنا الاهتداء إلى شخصية المندوب المحتال .

ونظر لوبين إلى الندب الموجود فى رسغ ذراعه اليمنى واشعل سيجارة وهو صامت لايتكلم .

كان هذا الندب أثرا خالدا لرصاصة اصابته فى احدى مغامراته .. ولقد كان يحرص دائما على أن يخفيه عن العيون بدهنه بمزيج خاص ولكنه غفل عن اتخاذ هذه الحيطة فى ذلك اليوم .

وتكلم لوبين فى هدوء قائلا :

— نعم .. إن فى رسغى ندبا .. ولكن هل أنا الوحيد فى العالم الذى يمتاز بهذا الوصف . ؟ ماهى الأوصاف الأخرى التى ذكرتها مدموازيل رينيه عن المندوب المحتال ؟

لاشىء . . كل الأوصاف الأخرى لاأهمية لها إذ من الممكن سترها

بالتنكر .. والآن هيا بنا

— إلى أين . ؟

— إلى المخفر .. هل تنوى أن ترافقنى فى هدوء ؟

فقال لوبين مجيبا :

— كلا بالطبع

فضاقت عينا المفتش بروكيه وقال مهددا :

— إنى أقبض عليك باسم القانون ياجيمس بارنيت

وكان جواب لوبين على هذا الوعيد أن قال دون أن ينفذ صبره :

— هذا يابروكيه هو الشيء الذى أريد أن اقنعك بأن من الخطأ أن تقدم عليه .. إنى أحبك يابروكيه وأحب أن أساعدك فلا يرضينى مطلقا أن أراك تتورط فى هذه الغلطة الشنيعة وأنا واقف مكتوف اليدين لاأحرك ساكنا .. اصغ إلى يابروكيه .. إنى أستطيع أن أخبرك بما حدث

— أما أنا فأستطيع أن أخبرك بما سيحدث .

فاسترسل لوبين فى حديثه كأنما كانت هذه المقاطعة موجهة إلى رجل سواه :

— حقيقة سرق مسيو موريس جاستون كما تقول . . أو بعبارة أصح أنه ظن أنه سرق .. أو بعبارة أكثر صحة أن سكرتيرته ظنت أنه سرق .. لقد اقتحم مكتبه رجل ادعى أنه مندوب شركة التأمين فاستول

هو المسئول بعد أن كان السائل . . وهو الجانى بعد أن كان المجنى
إذ سيتضح للبوليس من أوصاف الجواهر التى سرقها المندوب الم
أنها بعينها جواهر سرقت من قبل من قوم آخرين . . فكانت ا
الوحيدة التى يستطيع موريس جاستون أن يتبعها هى أن يسحب الا
التى قدمتها سكرتيرته وأن يؤكد للبوليس أن المندوب حقيقى غير
وأن الجواهر فى أمان لم تسرق !

لم يكن لوبين قد عرف أن هذا حدث فعلا .. ولكنه كان موق
لابد من حدوثه لأنه هو المخرج المنطقى الوحيد الكفيل إنقاذ موريس
جاستون من ورطته

وقال لوبين مجيبا على سؤال المفتش بروكيه :

— ألم أقل لك أن لى قدرة على التنبؤ . . نعم يابروكيه . يك
رفقا بنفسك أن تتصرف حتى لا تثير حول اسمك فضيحة قد ت
ترقيتك . فإنه لأمر مشين أن تقبض على متهم وليست هناك
وتزج فى السجن بسارق وليست هناك سرقة . . وإذا كنت لا تص
فما عليك إلا أن تتصل تليفونيا بإدارة البوليس بل دعنى أدير القر
نيابة عنك حتى لا تتعب أناملك الرقيقة .

ومشى لوبين إلى التليفون وهم بأن يدير القرص . ولكنه شعر
بفوهة مسدس ملصقة بظهره وسمع صوت بروكيه يقول :

— أترك التليفون يا رنيت .

وكان الصوت رهيباً منذرا بالوعيد والتهديد . . وكان لوبين حكيما
رف أن الاذعان واجب فى بعض الأحيان فترك التليفون فى مكانه
دار على عقبيه مستسلما وهو يقول :

— لا مندوحة لى عن الخضوع فيما يبدو . . كنت أتمنى أن أنقذك
ن هذه الفضيحة الكفيلة بأن تسىء إلى سمعتك . ولكن ما دمت مصرا
ل ارتكاب هذه الحماقة فليس فى وسعى أن أمنعك . .

وتناول قبعته فوضعها على رأسه فى عناية وقال يخاطب باميلا وهو
بمغادرة الدار :

— مريهم بأن يعدوا المائدة . فإنى سأحضر لتناول العشاء .

ولما خرجا إلى الطريق أشار لوبين إلى إحدى سيارات التاكسى
وهى تمر أمام البيت وصعد الاثنان إليها ، ووضع بروكيه مسدسه
فى جيبه وقد اطمأن إلى أن أسيره لا يمكن أن يقفز من السيارة وهى
منطلقة بمثل هذه السرعة .

وشم لوبين رائحة لطيفة تملأ جو السيارة فالتفت إلى المفتش ماربل
بروكيه وقال له :

— ما هذا العطر الذى تستعمله أيها العزيز الأنيق ؟

— انتظر حتى تصل إلى المخفر وستعرف ذلك هناك .

وتثاءب لوبين وأسند رأسه إلى وسادة السيارة .. كانت السيارة من
الطراز المقفل وقد أغلقت نوافذها فكانت دافئة تغرى المرء بالنوم .

— وكيف نتسلمه ونحن لا نعرف ما يشغله وما يدعوه إلى ال...

— ألم يرسله باسمه . ؟

— كلا بالطبع . . بل أرسله باسم مستعار .

— إذن فكيف يمكنه أن يتسلم الطرد مادام الاسم المعنون ب...
اسمه ؟

— عند ما يتقدم لاستلام الطرد يتسمى بالاسم المستعار الم...
على الطرد . . فالمسألة بسيطة كما ترى .

فأشرق وجه بيكار والتمعت عيناه فى بلاهة وقال :

— انها حقيقة مسألة بسيطة ولكنها لم تخطر ببالى .

وللمرة الثالثة أو الرابعة ساد الصمت عليهما ثم تكلمت ...
فجأة قائلة :

— يجب أن أعرف ما حدث له . !

وأشعلت سيجارة وأخذت تدخنها وهى تتمشى فى أرجاء ال...
فى قلق وانزعاج ثم قذفت بالسيجارة من النافذة ومشت إلى التليف...
فاتصلت على الفور بالمفتش بيشو . وكان من حسن حظها أن وجـ...
فى داره .

وسمعت صوته الخامل يقول :

— من أنت . ؟

— انى باميلا مارلو

فهز بيكار رأسه فى حير... ...لا كثرات شأنها فى ذلك شأن لو بين

— لست أدرى ...

— ألم تنتهوا بعد من استجواب بارنيت . . ؟ ألا تعلم أننا ننتظره
...ى . . وأنى لا أحب أن أتناول الحساء باردا . ؟

فقال بيشو فى شىء من التشكك والتردد :

— إنى لا أفهم ما تعنين

— بل يجب أن تفهم يا بيشو .

ولكنها أيقنت أنه لا يراوغها وأنه ليس فاهما حقا فأوضحت له
إعجاز ما حدث فلبث بيشو صامتا برهة من الوقت حتى خيل إليها
أن الاتصال التليفونى قد انقطع . . إلا أنها سمعت صوته فجأة يقول :

— سأتصل بك ثانية بعد قليل .

ولم يكن صوته فى هذه المرة خاملا . . وإنما كان مليئا بالحيرة والقلق
وأشعلت باميلا سيجارة أخرى أخذت تدخنها بسرعة وفى حركات
عصبية حتى إذا سمعت جرس التليفون يدق وثبت اليه مسرعة .

وسمعت صوت المفتش بيشو يقول :

— ليس لأحد فى ادارة البوليس علم بما حدث . . وأنا شخصيا
لم أسمع بأن المفتش بروكيه ذهب ليقبض على بارنيت فلعل هذه الحكاية
احدى الخرافات التى تتسلون بها على حسابى .

فهتفت باميلا قائلة : إنى لست أمزح .

ولو أن بيشو رأى عينيها فى هذه اللحظة لأدرك أنها حقيقة لا

واسترسلت الفتاة قائلة :

لقد خرج فى رفقة بروكيه فى منتصف الساعة السادسة ولم حتى الآن .

مرت هنيهة طويلة وبيشو صامت لايتكلم فأدركت أنه يفكر الخطة التي ينبغى أن يتبعها وأخيرا سمعته يقول :

— حسنا . سأحضر لمقابلتك على الفور .

وبعد ربع ساعة كان المفتش بيشو جالسا إلى باميلا يس إلى قصتها .

وقد أيقن من حديثها أنها تجد ولا تمزح .. ولكنه لم يهتد إلى جديد يلقى ضوءا على ما حدث .

قال :

— إن بارنيت كان فى أثر المروج الكبير .. ومما لاشك فيه بارنيت هو الذى سرق جواهر موريس جاستون بعد ظهر اليوم .. إ أعرف أن الجواهر سرقت . وأنت أيضا تعرفين ذلك .. وهذا ع الرغم من انكار جاستون وادعائه أن بلاغ سكرتيرته نجم عن سو تفاهم وزعمه أن الجواهر وصلت فعلا إلى شركة التأمين .. فواضح م هذا كله أن لجاستون علاقة وثيقة بالمروج الكبير .. وأغلب ظني أن بارنيت وقع فى يد المروج الكبير .

— ألا تعتقد أنك تغالى فى الاستنتاج .. ؟

— يجوز .. ولكن لو أننى كنت المروج الكبير لعرفت كيف أتصرف .. كان منظورا أن يترتب على بلاغ السكرتيرة أن توفد ادارة سكوتلانديارد أحد رجالها لاستجواب بارنيت فوجد المروج الكبير فى ذلك فرصة سانحة للقبض على لوبين دون إثارة شىء من الشك فعندما خرج المفتش ولوبين فى رفقته من البيت كانت فى الانتظار على مقربة من الباب سيارة أرسلها المروج الكبير خصيصا لهذا الغرض فصعد الاثنان إلى السيارة ووقعا فى قبضة المروج الكبير وأعوانه . ثم غادر البيت راجعا إلى ادارة الأمن العام .

لم يكن لدى المفتش بيشو أى شك فى أن المروج الكبير ظفر ببارنيت وبالمفتش بروكيه .. وكان موقنا — وإن أعوزه الدليل — من أن تحليله لما وقع هو الحقيقة بعينها وأنه لم يخطىء فى تصور التطورات التى جرت .

على أن الشىء الذى أدهشه وأثار عجبه هو أنه كان أشد اهتماما بمصير بارنيت منه بمصير مساعده بروكيه .

ولكن قلقه على بروكيه ما لبث أن تبدد فى الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه .. وذلك أن أحد رجال البوليس الذين يتولون الحراسة فى غابة بولونيا رأى قدما بارزة وسط الحشائش فلما أمسك بها وجذبها وجدها متصلة ببقية الجسم .

وظن الشرطى للوهلة الأولى أنه أمام جثة رجل ميت .. وتصور

الشهرة الذائعة التى سيستمتع بها حين تنشر الصحف صورته فى
وتحتها العبارة المألوفة التى تقول فيها أن هذا هو الشرطى العظيم ا
اكتشف الجثة فى غابة بولونيا .. ولكنه ما لبث أن عرف
حظه أنه ليس أمام جثة رجل ميت .. وإنما أمام رجل غائب
الصواب .

وبعد الإسعافات الأولية أفاق الرجل من غيبوبته .. ولما
عرف الحاضرون أنه المفتش بروكيه .

وقال له المفتش بيشو حين التقى به :

— إذن فلم يقتلك المروج الكبير ؟

فقال بروكيه فى استخفاف :

— يلوح لى أنه آسف على أنه لم يقتلنى .

وكان بروكيه لايزال يشعر بصداع شديد من أثر الغاز الذى استنـ
حينما ركب فى السيارة مع لوبين .. وكان فى الوقت ذاته ضيق الصـ
إذ وقع فريسة لهذه الخدعة الصغيرة .

وقال بيشو يسأله فى لهجة أقرب إلى التعنيف منها إلى الاستفسار

— ومن الذى كلفك بأن تقبض على بارنيت ؟

فقطب بروكيه جبينه وقال :

— وهل من الضرورى أن يكلفنى أحد .. ؟ لقد سمعت بالسرقة ا
وقعت فى مكتب موريس جاستون وكان لدى من الأسباب مايدعو إ

اعتقاد بأن لبارنيت يدا فى هذا الحادث

— ولكنك تعلم أن جاستون أنكر وقوع السرقة .. وقرر أن
البلاغ الذى قدم إلى البوليس إنما كان راجعا إلى شىء من سوء التفاهم ؟

— هل أنكر جاستون وقوع السرقة .. ؟ لقد أنبأنى بارنيت بذلك
لكنى لم أصدقه .. أنى لا أعرف شيئا عن التطورات التى جرت عقب
تقديم البلاغ إذ أنى غادرت ادارة الأمن العام على الفور ومضيت الى
مسكن بارنيت ولبثت فى انتظاره طويلا .

فعاد المفتش بيشو يقول فى تهكم :

— وقد اتخذت مسدسك وسيلة لإرغامه على مرافقتك

— فاحمر وجه المفتش بروكيه ارتباكا .. عندما روى القصة لبيشو
تغاضى عن أن يذكر له أنه فعل ذلك .. ولكن بيشو كان على علم
بتفاصيل الحادث مما ذكرته له باميلا

واختتم المفتش بيشو محاضرته بقوله :

— ومهما يكن من أمر فان الواجب يحتم علينا أن نعثر على بارنيت
بعد تلك الخطوة الجريئة التى اتخذتها أصبح بارنيت فى نظر القانون
سجينا هاربا .. ولما كنت أنت الذى توليت القبض عليه فلابد أن تفعل
شيئا للاهتداء إلى مقره

— وماذا تقترح ؟

ولم يكن لدى بيشو أى جواب على هذا السؤال فاكتفى بأن نظر إلى

مساعده شذرا . . لقد اتخذ بيشو الإجراءات المألوفة التى تتخذ
هذه الأحوال فأخطر مراكز البوليس جميعها بما حدث وصدرت
بشدة بضرورة البحث عن بارنيت

ولكن بيشو — قبل سواه — كان يعرف أن هـــذه
والتعليمات لن تسفر عن أية نتيجة وأنها ليست إلا إجراءات
لاأثر لها لاسيما وأن السيارة التى ركب فيها بارنيت وبروكيه لم تكن
أوصاف تميزها عن سواها . ولم يفطن بروكيه إلى رقمها حتى
البحث أسهل وأهون

على أن الشىء المؤكد الذى لم يكن يحتمل شكا هو أن الرجل
قتل جان أونيه وفرانسوا فوشيه هو بعينه الذى اختطف بارنيت
مؤكدا أيضا أن مصيره الموت المحتوم كصاحبيه . وكل رجل
كثيرا لابد أن يموت سريعا . . وما من ريب فى أن بارنيت كان
الشىء الكثير فكانت مسألة موته أمرا مفروغا منه

ولأول مرة فى حياته شعر المفتش بيشو بأنه يحب بارنيت ولا
له الموت إذ كانت وفاته فى نظره خسارة فادحة لاتعوض !

والتفت بيشو إلى مساعده بروكيه وقال فى غلظة وجفاء

— مادمت لاتأبه للأوامر والتعليمات فعليك أن تلق بالا إلى
الرجل موريس جاستون وإن لم يكن لدينا ضده شىء بصفة رسمية
إنى أعرف أنه أقسم أن البلاغ الذى أرسل إلينا كان غلطة أدى

تفاهم لامبرر له . ولكن طالما حمت الكثيرين يتنصلون من مثل
السائل . . نعم . ليس لدينا دليل على أن السرقة وقعت . ولكنى
اعتقادا جازما أن الجواهر التى لدى جاستون كانت هى أيضا
قة من قبل لم تصل إليه عن طريق شريف . . فإذا لم يكن الأمر
ك فإنى على استعداد لأن آكل قبعتى . . كما إنى أعتقد أن لموريس
ون علاقة وثيقة بالمروج الكبير . . هذا إذا لم يكن هو نفسه المروج
ير . . فإذا لم يكن هذا صحيحا فإنى على استعداد لأن آكل قبعتك
أيضا

فهز بروكيه رأسه وقال :

— لاأظن إنى أشاطرك هذا الرأى . . لقد أطلق الرصاص على
انسوا فوشيه فى حى مونمارتر . . وثبت من التحريات التى قمنا بها
ارنيت يبنا على مقربة من مكان الحادث يقيم فيه تحت اسم مستعار . .
واهد كلها تشير إلى أن بارنيت . .

فقال المفتش بيشو مقاطعا :

— أريد أن تقول أن بارنيت هو القاتل ؟ كلا ، أن بارنيت لايسفك
ا إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك . وليس فى الحادث الذى نحن بصدده
ورة ملحة ، نعم أن بارنيت لم يقتل فرانسوا فوشيه . . ولكنى موقن
ه اختطفه عندما أطلقت عليه الرصاصة وهو فى منزله وأن الرصاصة
تصب منه مقتلا إذ ذاك . . وإنى أعتقد أن بارنيت قد استطاع أن

يرغمه على الكلام وانتزع منه بعض المعلومات .. وقد قتل فوشيه
أذن له بارنيت بالخروج .. أو على الأقل بعد أن فر هاربا ..
أعتقد أيضا أن فوشيه أدلى إلى بارنيت بمعلومات جعلته يهتم بمر
جاستون

فهز المفتش بركيه رأسه نفيا للمرة الثانية بطريقة تدل على الا
بالنفس فثار غضب المفتش بيشو لهذا التحدى الجرىء . وزاد
أن بروكيه قال له فى صلف وعجرفة :

— إنك مخطىء .

فقرض بيشو على أسنانه وقال :

— حقا .. ؟ مخطىء .. ! أنا مخطىء .. ! اذن بالله عليه ما
النظرية الصائبة ؟

وارتسمت على شفتى المفتش بروكيه ابتسامة هازئة جعلت المف
بيشو يفكر فى أن يلطمه على وجهه وقال :

— إن لى طبعا نظرية خاصة فى هذه الحوادث ولكنى أحب
احتفظ بها لنفسى .. وسأشرع فى العمل استنادا إليها .. ولكن
كانت لديك خطة معينة تنوى أن تتبعها فيمكنك أن تخطرنى .

فصاح المفتش بيشو فى حنق مكتوم :

— عندما تكون لى خطة معينة فلن أكون فى حاجة إلى الاستنج
بك .. إنى أعرف أن لك دائما آراء شاذة .. ولن يدهشنى أن تج
يوما لتنبئنى بأن مدير إدارة الأمن العام هو نفسه المروج الكبير .

ونهض المفتش بروكيه واقفا وأخذ يصلح من هندامه فى غير اكتراث والمفتش بيشو يرقبه فى غيظ وغضب وقال بروكيه وهو يضع قبعته على رأسه :

— قد تكون لى آراء شاذة ولكنها على أى الأحوال لن تكون أكثر شذوذا من آرائك أنت ! ولكن دعنى أصارحك بمسألة هامة وهى انى سأقبض على صديقك جيمس بارنيت ، أو بالأحرى أرسين لوبين ، فإذا كانوا قد عينوك كبيرا للمفتشين لأنك اخفقت فى القبض على لوبين فن المؤكد انهم سيعينوننى مديرا للأمن العام ما دمت سأنجح فى القبض عليه

فصاح المفتش بيشو فى لهجة تهكمية :

— أنت تعين مديرا للأمن العـــام .. ! ولك مثل هذا الإسم المضحك .. !

فرفع بروكيه رأسه فى أنفة وكبرياء وقال :

— وما الذى يضحكك فى اسمى .. ! ألا تعلم أن الجد الأكبر لآل بروكيه كان من ضباط نابليون الذين اشتركوا فى معركة واترلو .. ؟

فقال بيشو مزمجرا :

— اذن فن المؤكد أنه هو الذى كان سببا فى هزيمة نابليون !

— ٨ —

عندما وقفت السيارة بأرسين لوبين كان فى حالة تشبه الغيبوبة .. كان يسمع ويرى ولكن بطريقة غامضة لا يستفيد فيها مما يرى أو يسمع لقد شعر بالسيارة وهى تقف .. وسمع أصواتا خافتة تتكلم ثم خيل

انهم حملوه ومشوا به على طريق مرصوف بالحصباء . ولقد حاول أن يفتح عينيه ليرى ما حوله فوجد الأمر شاقا واضطر أن يغمضهما على الفور . ثم مالبث أن غاب عن صوابه وغرق فى غيبوبة جديدة .

ولكنه استفاق للمرة الثانية وأحس أنه أجلس على مقعد خشبى ثم شعر بحبال تشد وتعقد حول ذراعيه وساقيه . كما شعر بإبرة تغرز فى ذراعه .

وثقل جفناه وأخذا ينطبقان ووجد صعوبة كبيرة فى رفعهما ولكنه حين فتح عينيه لم يكن يرى شيئا .

وأخذ يسائل نفسه عما إذا كانت الغرفة غارقة فى الظلام أو أنه أصيب بالعمى . ؟ ولكنه لم يستطع أن يفكر طويلا فى الأمر ليأخذ بأحد الرأيين فقد كان هناك رجل يوجه إليه بعض الأسئلة .

كان الصوت يصدر من احشاء الظلام الضارب أطنابه حوله .. وكان صوتا رقيقا خاليا من العنف والشدة . . واغرب من هذا أنه كان صوتا مألوفا لديه .

وألقى إليه صاحب الصوت أسئلة كثيرة . وخيل إلى لوبين أنه أجاب على هذه الأسئلة كأنه آلة ميكانيكية لا رأى لها ولا إرادة . ولكنه نسى ما أجاب به . . كان يسأل . . وكان يجيب . . ولكنه لم يعد يذكر شيئا من الأسئلة أو الأجوبة

ثم غلبه النعاس فاستغرق فى النوم وأنقذه نومه من هذه الحالة القريبة من الغيبوبة

وحين صحا من نومه كانت رأسه ثقيلة وكان يحس صداعا يكاد

يحطمها ولما فتح عينيه تراءت له الغرفة مظلمة . ولم يكن يرى شيئا مما حوله ولكن بصره ما لبث أن ألف المكان فأخذ يرى ويفهم وعرف أنه جالس فوق مقعد مشدود الوثاق

وسمع صوتا على مقربة منه يقول :

ـ اذن فقد استيقظت . . ولكن فليطمئن بالك إذ ستكون هذه هى اليقظة الأخيرة .

وأحنى لوبين رأسه وأرسل بصره فى ارجاء الغرفة . واستطاع أن يرى من محتوياتها ماغاب عنه فى المرة الأولى حين كان بصره لايزال مشدوها مشردا .

رأى فى وسط السقف مصباحا كهربائيا يرسل ضوءا ضعيفا يكفى لإنارة الغرفة وتبديد ظلامها

ولم يكن المكان الذى ألفى نفسه فيه غرفة فى منزل . . وإنما غرفة فى باخرة أو قارب كبير . . وتبين من صوت المحركات أنه فى لنش بخارى كما أدرك من الأنوار والجسور التى يمر بها القارب أنه فى نهر السين .

وكان الرجل الذى وجه إليه الحديث يرتدى بذلة مخططة وبين شفتيه غليونه تفوح منه رائحة التبغ الردىء . وكانت نظراته تنم عن القسوة والشر .

وجعل لوبين يتفرس فيه برهة ثم قال يسأله :

ـ إلى أين تذهب بى ؟

فضحك الرجل وقال :

ـ سأرسلك إلى القاع لتتفرج على الأسماك . ولست أدرى إذا

كان وجهك الجميل سيروق للأسماك . ولكنى ارجو أن تعتاد عليه بمرو
الزمن فلا تنفر وتشمئز إذا أرادت أن تنهشه !

فقال لوبين فى غير مبالاة :

— أهذا هو انتقام المروج الكبير ؟

فقال الرجل فى عظمة وكبرياء :

— إنك إنما تتحدث إلى المروج الكبير نفسه .

فرماه لوبين بنظرة تنطوى على الازدراء وقال :

أنت المروج الكبير . ! أتحسبنى لا أعرفك ؟ إنك تدعى كانسـ
وفى وسعى أن اسرد عليك جانبا من سوابقك .. نعم لقد سبق أن
اتهمت بالسرقة مع الإكراه ثلاث مرات .. واتهمت مرة بحمل السلاح
دون ترخيص .. واتهمت مرتين ..

فقال كانسيه مقاطعا :

— حسنا .. حسنا .. انى أعرف هذه السوابق فلا حاجة بك إلى
سردها على .. نعم .. انى لست المروج الكبير .. ولكننى والمروج
الكبير بمثابة شخص واحد .. وإذا قلت لك انى أنا المروج الكبير فلا
تحسبن انى اغالى .. نعم .. أن المروج الكبير لا يستطيع أن يفعل شيئا
دون مساعدتى .. ولولاى لما قامت له قائمة .

فقال لوبين يسأله :

— طبعا لولاك لما قتل فرانسوا فوشيه ؟

فاحنى كانسيه رأسه قائلا :

نعم .. أنا الذى قتلت فرانسوا فوشيه .. كانت عملية متقنة

بديعة .. كان مفروضا أن أقف عند الباب فى انتظاركما انتما الاثنين
ولكننى حين رأيت فوشيه يخرج من بيتك وهو يجرى خشيت أن أفقد
أثره فاكتفيت بأن أناله فى هذه المرة على أن أرجع إليك فيما بعد .
فأسرعت خلفه بالموتوسيكل وأفرغت فى ظهره رصاص مسدسى .

ثم ضحك واردف قائلا :

— انى أصارحك بكل هذا لانى أعلم أن الأموات لا يتكلمون
ولك أن تنبىء السمك بما تشاء فهو لن يحفل باقوالك . لقد قتلت
فرانسوا فوشيه لأنه واش نمام .. والآن ساقدم أرسين لوبين العظيم
طعاما للسمك ، إنى أعلم أن فى باريس مئات يتمنون لو نزلوا عن عشرة
أعوام من أعمارهم مقابل القيام بهذه المهمة ، ولكن الأقدار شاءت أن
تخصنى بهذا الشرف العظيم .

وقال لوبين :

— ولكن الا تعلم ياصاح أنك بتقديمى إلى الاسماك ستقدم اليها
جواهر تبلغ قيمتها ثلاثة أرباع مليون فرنك ؟

فضحك كانسيه طويلا ثم قال حين تمالك روعه :

— إنك مخطىء فى هذا أيها الصديق العزيز . أننا نعرف أن
الجواهر أرسلت طرد باسم اندرية شوتان يحفظ بشباك بريد ميدان
لاكونكورد أنك انت الذى أفضيت الينا بهذه المعلومات فليس على
المروج الكبير إلا أن يقدم نفسه إلى مكتب البريد منتحلا اسم أندريه
شوتان ليتسلم الطرد .

وتصلبت نظرات ارسين لوبين .

وخيل اليه وهو يسمع هذه الكلمات أنه أصيب بطعنة فى قلبه وأخذ ينحى على نفسه باللوم الشديد اذ كتم عن باميلا الخطة التى اتبعها .. فلو أن باميلا كانت تعلم مقر الجواهر لسارعت إلى استلامها حين أدركت من غيبته أن الخطر احدق به . ولكنه لم يكن يتوقع أن يقع فى هذا المأزق حين رأى نفسه يخرج فى رفقة مفتش البوليس .

ولكن كيف أفضى بهذه الاعترافات .. ؟ ومتى كان ذلك .. ؟

وجعل يكدح ذاكرته محاولا أن يستعيد ما مر به .

انه يذكر أنه ركب السيارة فى رفقة المفتش بروكيه .. ويذكر هذه الرائحة الذكية .. التى ملأت خياشيمه .. لقد ظنها عطرا يفوح من ثياب المفتش .. ولكنه مالبث أن أدرك أنها رائحة غاز مخدر مالبث أن افقده الوعى .. ومن المؤكد أن بروكيه أيضا غاب عن صوابه . ولكن المروج الكبير لم يكن فى حاجة إلى بروكيه وانما كان فى حاجة إلى أرسين لوبين فأكبر الظن أنهم القوا بالمفتش على قارعة الطريق واحتفظوا بلوبين وحده .

وأخذ لوبين يسائل نفسه عما إذا كانو قد عذبوه ليرغموه على الافضاء اليهم بمخبأ الجواهر ؟

كلا .. أنهم لم يأخذوه بأى عمل من أعمال العنف .. أنه لا يذكر انهم أساءوا اليه أو عذبوه .

وعلى حين فجأة ذكر تلك الابرة التى غرزت فى زراعه وذلك الصوت الرقيق الذى يلقى اليه الاسئلة من احشاء الظلام .. لقد نسى الآن هذه الاسئلة كما نسى الجواب عليها . ولكنه يذكر شيئا واحدا هو

أنه كان فى حالة نفسية لا تعين على الكذب والمراوغة .. كان يخيل اليه انه خلق بلا رأى ولا ارادة . وغلب على ظنه انهم سألوه عن الجواهر فأفضى اليهم بأمرها فى غير تردد .

وأشرق ذهنه بغتة فأدرك سر الابرة التى غرزت فى ذراعه ، لقد حقنوه بمخدر خاص يلغى الإرادة ويجرد الإنسان من القدرة على الكذب ويجعل لسانه مجرد أداة للإفصاح عما يجول فى خاطره

وتكلم لوبين فجأة قائلا :

— إذن فقد حقنتمونى بالاسكوبولامين ؟

فهرش كانسيه وراء أذنيه وقال :

— يخيل إلى أن هذا هو الاسم ، لقد خطر للمروج الكبير أن يحقنك بهذه المادة ، تنا يا عزيزى لوبين مجرمون من طراز جديد ، طراز يستخدم العلم فى تحقيق أغراضه

وأرسل لوبين بصره من كوة الغرفة فرأى ان القارب بدأ يمر تحت الجسر المقام على نهر السين والمعروف باسم جسر بونابرت فقال لنفسه

— يالها من خاتمة ! رجل مثلى عاش للمغامرات والنضال والكفاح يلقى طعاما سهلا سائغا للأسماك !

ونظر لوبين فى ساعته المشدودة حول رسغه فوجدها تشير إلى مابعد الساعة العاشرة بقليل

وقال يسأل كانسيه : — فى أى يوم نحن ؟

— نفس اليوم الذى اختطفت فيه

ثم ضحك وأردف قائلا

ـ أتحسبنا من الحماقة بحيث نحتفظ بك أسبوعا أو أسبوعين ؟ إن بقاءك على قيد الحياة خطر دائم . فالخطة المثلى تقضى بسرعة التخلص منك

إذن فقد مضت خمس ساعات فقط منذ اختطفوه وقد ظن لوبين أنه قد مر به دهر طويل . وأن المخدر الذى حقن به أفقده الوعى يوما أو أياما

وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة خفيفة ، منذ خمس ساعات اختطفوه ، ثم حقنوه بالمخدر ، ثم استجوبوه فعرفوا أن الجواهر مودعة فى مكتب بريد ميدان لا كونكورد ، والمفروض أن يمضى المروج الكبير إلى المكتب على الفور ليتسلم الطرد زاعما أنه هو اندريه شوتان ولكن مكاتب البريد لاتسلم الطرود لأصحابها بعد الساعة الخامسة .. فمن المستحيل إذن أن يكون المروج الكبير قد استلم الطرد فعلا لأنه إنما اختطف قبيل الخامسة بقليل

إذن فطرد الجواهر لايزال مودعا فى مكتب البريد فى انتظار من يتسلمه .. فإذا تمكن لوبين من الهرب

وهز لوبين كتفيه فى استخفاف .. إذا تمكن من الهرب .. ! وهل يمكن أن يهرب والأمر يقرب من الاستحالة المادية ؟ هاهو ذا مشدود الوثاق وعلى مقربة منه قطعة ضخمة من الحجر مربوطة بسلسلة ولاشك أن الغرض منها ربطها إلى جسمه حتى إذا ألقى فى النهر غاص إلى القاع واستحال على الصعود .. فهل مع كل هذه الاحتياطات يمكن أن يهرب لكى يمضى إلى مكتب بريد لا كونكورد ليتسلم الجواهر !

ياله من حلم جنونى !

ولكن الأحلام قد تصح فى بعض الأحيان

كان من عادة لوبين أن يشد على ذراعه خنجرا صغيرا يضعه فى غمد من الجلد .. ولطالما أنقذه هذا الخنجر من مآزق حرجة .. فكم من مرة جرده أعداؤه من مسدسه وظنوه أعزل لايملك دفاعا عن نفسه ثم إذا به على حين فجأة يخرج الخنجر من غمده فيصبح سيد الموقف

وأخذ لوبين يحرك أصابعه فى بطء وبطريقة لاتثير الالتفات حتى تمكن من أن يلمس ساعده الايسر ليستوثق من أن الخنجر لايزال فى موضعه وأنهم لم يفطنوا إليه حين حقنوه بالمخدر .. ولكنه مالبث أن ذكر أنه أحس بوخزة الابرة فى ذراعه اليمنى على حين أن الخنجر مشدود على الذراع اليسرى

واستطاع أخيرا أن يلمس ذراعه

كان الخنجر لايزال فى مكانه الامين .. وكان رجاؤه الوحيد معلقا بهذا الخنجر

ونهض كانسيه واقفا وقال له

لقد أزف الوقت

وتناول الحجر الثقيل المشدود إلى السلسلة وأخذ يدحرجه على الارض حتى أدناه من قدمى لوبين فربط السلسلة فى الحبل المربوطة به القدمان .

وحمل لوبين على ظهره ومشى به إلى طرف القارب

وكان لوبين لايزال على عهده رابط الجأش هادىء النفس لايعبأ بالخطر المحدق به

وأرسل لوبين بصره إلى النهر .. وأصغى إلى هديره الجبار ورفعه كأسيه .. وألقاه إلى النهر من فوق سياج القارب .

وشق السكون صوته وهو يقول

— وداعا يالوبين . !

فأجابه لوبين متهكما

إلى اللقاء فى الجحيم . !

واصطدم جسمه بالماء فانشق عن هوة صغيرة مالبثت أن انطوت فغاب فى أحشائها . !

— ٩ —

لم يكن لوبين يفكر فى حرج موقفه وفى الموت الذى يترصده وإنما كان يفكر فى شىء واحد هو الطريقة التى يعالج بها هذا الموقف

أخذ لوبين يلوى يديه ويدنى كلا منهما من الأخرى حتى انغرزت الحبال فى لحمه . ولكن أصابع يده اليمنى استطاعت أن تلمس ساعده الأيسر .. وشعر بصلابة الخنجر تحت أنامله

وكان هذا الخنجر هو الحلقة الوحيدة التى تربطه بالحياة ..

لقد أنقذه الخنجر من الموت فى عدة مرات سابقة كثيرة .. فهل ينقذه فى هذه المرة أيضا ؟ .

وفى أناة وحذر أخذ يحرك يده .. وكان يتحاشى التعجيل والإسراع

خشية أن يأتى حركة طائشة فينزلق الخنجر من غمده ويرسب فى قاع النهر .. ولو حدث هذا لاستحال عليه أن يهتدى اليه .. !

وأخيرا انطوت أصابعه على المقبض .. انطوت عليه فى شدة كأنها قدت من الفولاذ .

وجذب الخنجر وأخرجه من غمده .. وانحنى وقطع الحبال التى ربط قدميه ثم بسط جسمه وأخذ يحرك ساقيه فارتفع فوق سطح الماء

وهناك انبطح على ظهره وفتح فمه ليملأ رئتيه بالهواء النقى .

وبلغ لوبين الشاطىء فانتقى منه مكانا منعزلا وصعد إليه .. وأسرع إلى ركوب إحدى سيارات التاكسى

ثم أخذ يستعرض الموقف .. أن المروج الكبير يعتقد أنه الآن جثة هامدة لقد شدوا وثاقه وعلقوا فى قدميه ثقلا حجريا ضخما وألقوا به فى نهر السين فهل يمكن بعد ذلك أن يعتقد أحد أنه لايزال على قيد الحياة . ! ؟

والمروج الكبير يعلم الآن سر الجواهر .. ويعلم أنها مودعة فى مكتب بريد لاكونكورد باسم مسيو اندريه شوتان . فالمفروض أن يكون أول عمل من أعمال المروج الكبير فى الصباح هو أن يذهب إلى مكتب البريد ليستولى على طرد الجواهر

ولم يكن فى نية لوبين أن يدع هذا المشهد الطريف يفوته . !

كان فى نيته أن يذهب فى الصباح الباكر إلى مكتب البريد ويتوارى هناك ليرى المروج الكبير حين يحضر للاستيلاء على الطرد .

ولما اقترب لوبين من بيته فى الشانزلييه رأى رجلا وفتاة يخرجان من البيت فنزل من السيارة ودنا منهما وتمتم وهو واقف خلفهما يقول

— أتبحثان عن المتاعب . ؟

واستدارت باميلا على عقبيها وحملقت فى وجهه .. ومرت بها بضع لحظات وهى مذهولة مشدوهة كأنما تنكر ماترى عيناها ..

أما بيكار فازدرد لعابه ثم أخذ يتحسس لوبين فى دهشة كأنما يريد أن يطمئن إلى أنه لايرى شبحا من الأشباح .

فى اللحظة التى فتح فيها مكتب بريد لانكورد أبوابه فى الصباح كان أرسين لوبين يتخطى العتبة ويستند بمرفقيه على الرخامة المثبتة إلى شباك قسم إرسال البرقيات .

وأنبأ لوبين الموظف بأنه يريد أن يرسل برقية إلى مدينة امبوبو فى غينا الفرنسية . ولكنه يريد أن يعرف أولا الفيات المختلفة لإرسال البرقيات بالطرق المختلفة سواء كانت طرقا مباشرة أو طرقا ملتوية

ولم يكتف لوبين بهذا السؤال وإنما خرج منه إلى سؤال آخر فقال إنه يريد أن يعرف الأجور الخاصة بإرسال البرقيات أثناء الليل أو أثناء عطلة الأسبوع : كما يريد أن يعرف أجور البرقيات المستعجلة وغير المستعجلة . . أو بعبارة أخرى أنه يريد أن يعرف الفيات الخاصة بإرسال أى نوع من البرقيات إلى مدينة امبوبو فى غينا الفرنسية

وكان طبيعيا أن يستغرق القاء هذه الأسئلة وقتا طويلا .. وكذلك الإجابة عليها .

وقال الموظف أنه يعرف المدن الهامة فى مستعمرة غينا الفرنسية ولكنه يذكر أنه لم يسمع من قبل باسم مدينة امبوبو . ولم يدهش لوبين لهذا الانكار لأنه هو نفسه لم يكن قد سمع من قبل باسم هذه المدينة ! وكل ما هنالك أنه أراد أن يخترع إسما لكى يجعل الموظف يضيع وقتا طويلا فى البحث فكانت كلمة امبوبو أول لفظ طرأ على باله والله يعلم أن ليس فى الدنيا بأسرها مدينة تحمل هذا الاسم

وغاب الموظف لحظات ثم عاد يحمل مجموعة من السجلات والدفاتر وانكب فوقها يقلب صفحاتها بحثاً عن مدينة امبوبو .

وفرغت السيجارة التى كان يدخنها لوبين فأشعل سيجارة أخرى .

كان لوبين قد تنكر بطريقة تتسم بالبساطة فاكتفى بأن وضع تحت أنفه شاربا صغيرا على طريقة رجال الجيش ووضع على عينيه نظارة سوداء . . وكان قانعا بهذا التنكر البسيط إذ كان يعلم أن المروج الكبير مطمئن إلى أنه قد مات . .

وبعد بحث غير قصير رفع الموظف رأسه عن السجلات المكدسة أمامه وقال فى يأس :

— من الغريب أنى لم أجد أية إشارة إلى مدينة امبوبو ؟ أواثق أنت من أن لهذه المدينة مكتبا للتلغراف ؟

فقال له لوبين ببساطة :

— طبعاً . .

ثم أردف يقول :

— أو على الأقل أن المكتب موجود فى مدينة بانجى التى تبعد

نصف ميل عن مدينة امبوبو

وللمرة الثانية رجع الموظف إلى دفاتره وسجلاته ليبحث عن مدينة بانجى كما بحث من قبل عن مدينة امبوبو .

وأشعل لوبين سيجارة ثالثة وأخذ يدخن وهو يرسل بصره إلى الباب فى غير اهتمام من حين لآخر

وعلى حين بغتة اتسعت حدقتاه ولبث جامدا فى مكانه !

رأى عميلا مبكرا يدخل إلى المكتب .. وقد رآه بجانب عينه . وسمع وقع أقدامه وهو يعبر المكان متجهاً إلى شباك الرسائل المحفوظة على قيد خطوات منه .

وخاطب العميل المبكر الموظف بقوله :

— ألديك شيء باسم شوتان ؟

فقال الموظف يسأله :

— ما هو الاسم الأول من فضلك

— أندريه . . أندرية شوتان

فبحث الموظف برهة فى دولاب ذى عيون قائم إلى جانبه

وفى هذه اللحظة تكلم موظف قسم البرقيات وقال للوبين شيئاً ولكن لوبين لم يسمع حرفا واحدا مما قيل له . . وإذا كان قد سمع فهو لم يفهم شيئا !

وقدم الموظف إلى العميل المبكر طردا صغيرا عرف فيه لوبين على الفور الطرد الذى أودعه الجواهر

وتناول العميل الطرد ودار على عقبيه وهم بأن يخرج .

وفى هـــذه اللحظة كان لوبين قد اقترب منه ووضع يده على كتفه فى رفق وهو يقول :

أتريد أن ترى شبحا بعث من أعماق النهر ؟

ودار الرجل على عقبيه فاذا هو المفتش ماريل بروكيه !

— ١٠ —

اعتاد الكتاب عندما يصفون موقفا مفاجئا شديد الحرج أن يقولوا أن البطل تخاذلت أوصاله .. وتصبب جبينه عرقا .. وجحظت عيناه .. واضطربت ساقاه . . وأن الرعدة سرت فى بدنه فأخذ يهتز ويرتعش كأنه ريشة فى مهب الرياح .. واعتادوا أن يقولوا أنه استند إلى الجدار حتى لا يسقط على الأرض .. إلى غير ذلك من الاستعارات والتشبيهات التى يدللون بها على هول المفاجأة وشدتها .

ولكن المفاجأة التى نحن بصددها كانت من الشدة بحيث لا يمكن أن تعبر مثل هذه الأوصاف عن عمقها ومداها ..

كانت مفاجأة فذة حقا .

ولقد نال أثرها الرجلين . فذهل لوبين وذهل بروكيه .

ولكن لوبين استطاع أن يسترد ثباته أولا ويبادر صاحبه بقوله :

ماذا تفعل هنا أيها العزيز بروكيه .

وكان صوته رقيقا . . ولاذعا .

ولعق بروكيه شفتيه دون أن يحرى جوابا .

وتكرر السؤال للمرة الثانية . . ولكن لم يكن لوبين هو الذى

كرره .

وذلك أن المفتش بيشو برز من داخل مكتب البريد وكان هو الذى تولى إعادة السؤال على مرؤوسه .

كان بيشو واضعا يديه فى جيوبه فى حركة تدل على الخمول والكسل . . ولكن عينيه كانتا تتألقان بشكل يدل على أنه قد سمع . . ورأى . . وفهم كل شىء .

— نعم . . ماذا تفعل هنا . . ؟

وحين سمع بروكيه هذا السؤال دار على عقبيه ونظر إلى بيشو إذ لم يكن قد رآه وهو يبرز من خلف المنصة .

ومرت لحظات حاول فيها بروكيه أن يلتمس صوته إذ خانته الكلمات وغاب عنه ذكاؤه .

ونظر لوبين إلى المفتش بيشو قائلا :

— ألم أخبرك يابيشو أن المروج الكبير سيحضر إلى هذا المكتب ليسترد جواهره . . ؟

ثم أرسل بصره إلى بروكيه قائلا :

— إن كانسيه هو الذى أنبأنى بذلك .

وقال بروكيه : إنى لا أعرف عما تتحدث . .

ولاح عليه أنه يبذل جهدا خارقا فى التسلط على أعصابه وأنه يحاول أن يكدح ذهنه ليجد لنفسه مخرجا من هذا المأزق الذى بوغت فيه وهو فى حالة تلبس .

واسترسل بروكيه قائلا :

— لقد بلغنى أنه توجد هنا جواهر مسروقة .

فقاطعه بيشو فى صوت هادىء يقول :

— ومن عرفت هذه الحكاية . . ؟

— من رجل هدتنى إليه النظرية التى كونتها لنفسى عن هذا الحادث ألم تقل لى أن فى وسعى أن أتابع إيحائى . . ؟

فقال بروكيه فى صوت أجش :

— هذه حكاية طويلة . . لقد التقيت به لأول مرة . .

وكان يتكلم فى بطء محاولا أن يتلمس من الوقت مايعينه على اختراع قصة . . ولكنه كان يعلم علم اليقين أن المراوغة لن تجديه نفعا وأنه سيعجز عن تضليل هذا الشيطان لوبين وستر الموقف .

واستطرد بروكيه قائلا :

— لقد قابلته فى الليلة الماضية . . ولكن ما الذى جاء بكما إلى هذا المكتب . . هل . .

فقال لوبين فى صوت هادىء :

— لقد جئنا لنقبض على المروج الكبير .

فتظاهر بروكيه بالدهشة وقال :

— المروج الكبير . ؟ وأين هو . . ؟ متى يحضر . . ؟

فابتسم لوبين وقال :

— إنه موجود الآن فعلا . . !

فتلفت بروكيه حواليه باحثا فبادره لوبين بقوله :

— أوفر عليك مؤونة البحث .. إن المروج هو المفتش بروكيه.

فقطب بروكيه جبينه وقال فى خشونة :

— هل جننت .. ؟

وكان بروكيه فى خلال هذا الحوار يرسل يده إلى جيبه الخلفى فى حركة خفيفة غير ملحوظة بطريقة لاتثير شيئا من الشك كأنما لا يفكر فى إخراج مسدسه وإنما فى إخراج صندوق سجائره

وفطن لوبين إلى هذه الحركة .. ولكنه فطن إليها بعد فوات الأوان بجزء أقل من الثانية .

رأى لوبين لسانا من النار ينبعث من الفوهة .. وسمع دويا هائلا يصم الآذان .. ولكنه استطاع لحسن حظه أن ينحرف قليلا عن مرمى النار فطاشت الرصاصة ولم تصبه .

وتردد بروكيه هنيهة ثم تحول إلى المفتش بيشو وصوب إليه مسدسه وهم بأن يطلق عليه النار .

ولكن قبل أن يضغط أصبعه الزناد كان لوبين قد أرسل ساقه إلى ظهر بروكيه فى رفسة هائلة كأنها صادرة من قائمة بغل هائج فاندفع بروكيه إلى الأمام وسقط على وجهه وطار المسدس من يده .

وفى اللحظة التالية كان لوبين قد انقض فوقه واشتبك الرجلان فى عراك عنيف .

ولكن هذا العراك لم يدم إلا قليلا إذ ما لبث بروكيه أن تمدد على الأرض وهو يكاد يكون غائبا عن الصواب .

وأسرع المفتش بيشو إلى بروكيه فقيده بالأصفاد

وعند ذلك فطن إلى أن لوبين لايزال راقدا على الأرض فأدركه القلق وأسرع إليه وهو يقول :

— هل جرحت .. ؟

فهز لوبين رأسه وقال فى مرارة :

— كبريائى هى التى جرحت .. !

وأخرج من جيبه سيجارة أشعلها ثم نهض واقفا وهو يقول :

— نعم .. كبريائى هى التى جرحت .. هذه أول هزيمة حاقت بى فى حياتى

فقال بيشو معترضا :

— وأين هى الهزيمة وقد ظفرت بالمروج الكبير .. ؟

— أنها هزيمة فكرية ياصاح .. أن المفتش بروكيه هو آخر رجل كان يمكن أن يخطر على بالى أنه هو المروج الكبير .. لقد كنت على استعداد لأن أعتقد أن مدير البوليس هو المروج الكبير . بل كنت مستعدا لأن أعتقد إنى أنا نفسى المروج الكبير . ولكن لم يخطر ببالى مطلقا أن بروكيه هو هذا المروج

ثم هز كتفيه فى استخفاف وقال :

— ومع ذلك فان الأمر يبدو طبيعيا . لقد كان موجودا فى السجن حين مات جان اونيه مسموما . فمركزه هو الذى مهد له السبيل إلى الفتك بالسجين بتلك الطريقة الغامضة

فقال بيشو :

— وبصفته مساعدا لى استطاع أن يطلق النار على فرانسوا فوشيه وأنا أستجوبه . كنت واقفا أستجوب فوشيه وظهرى إلى الباب . وكان بروكيه واقفا خلفى على مقربة من الباب .. فمن المؤكد أنه حين رأى فوشيه يهم بأن يدلى بالاعتراف الخطير أخرج مسدسه وأطلق عليه النار . وفى نفس الوقت دفع الباب بقدمه فاصطفق وحين التفت وجدته قد تحول إلى الباب وفتحه فكان الخاطر الطبيعى الذى يمكن أن يخطر بالبال فى مثل هذه اللحظة هو أن القاتل أطلق النار من خلال فجوة الباب ثم أوصده وفر هاربا . وأن بروكيه وثب إلى الباب ليلحق به .. ولقد استطاع أن يضللنى بادعائه أنه رأى القاتل وهو يفر هاربا .. ومع ذلك فالأمر كما تقول أنت وهو أنه كان محالا أن تتطرق الريبة إلى نفسى من ناحيته

وساد الصمت برهة ثم أردف المفتش بيشو قائلا :

— ولكن خبرنى .. ألست أنت الذى اختطفت فرانسوا فوشيه ..؟

فضحك لوبين وقال :

— تبا لك يابيشو .. ! أتنوى أن تظل طول العمر تسىء بى الظن بهذا الشكل .. ؟

فتنهد بيشو ولم يقل شيئا .

وتناول الطرد وفتحه فرآه مملوءا بالجواهر التى يخطف سناها الأبصار فقلبها بين أصابعه ثم وضعها فى جيبه .

كان يعتقد أنه سيجد العلبة ملأى بجواهر مزيفة إذ كان موقنا من

أن بارنيت لايخدم العدالة إكراما للعدالة .. فلما ألفاها جواهر حقيقية تفرس فى وجه بارنيت وقال يسأله :

— ماهى غنيمتك من هذه اللعبة .. ؟

وكان صوته حافلا بالريبة وسوء الظن .

فابتسم لوبين وقال فى لهجة ناسك طاهر الذيل :

— الفضيلة هى غنيمتى .. إنى أريد أن أكفر عن ذنوبى .

فهز بيشو رأسه وقال :

— إنى أعرف طريقتك فى التكفير عن الذنوب .. !

ثم أشرق ذهنه فجأة فقال :

— سأذهب إلى المخفر ببروكيه ثم انطلق على الفور إلى مسكنه .. إنى أعلم أن المروج الكبير يحتفظ فى مسكنه بكميات كبيرة من الأموال والجواهر المسروقة .. كما أعلم أن فى نيتك أن تستولى على هذه الجواهر والأموال .. ولكنى لن أمكنك من بغيتك .. ولهذا أريد منك أن تصحبنى فلا تفارقنى لحظة واحدة حتى أطمئن إلى أنك لن تسطو على مسكن بروكيه وتسلب مافيه .

وضحك لوبين وقال :

— سأرافقك لكى يطمئن بالك . فهيا بنا إلى سيارتى .

وفى أثناء الطريق أصيبت السيارة بعطب .. ! أو أن على الأقل هو ماذكره لوبين للمفتش بيشو حين وقفت بهم السيارة فجأة .

وهبط لوبين من السيارة وتظاهر بالانهماك فى إصلاحها .

وبعد ربع ساعة من العمل المتواصل رفع لوبين رأسه وقال :

— ينقصني لإتمام إصلاحها سلك صغير فانتظرني حتى آتي به من هذا الجاراج القريب .

ومضى لوبين إلى الجراج .. ولم يفطن بيشو (إلا بعد فوات الوقت) إلى أن لوبين غاب في الجراج وقتا أكثر مما يقتضيه شراء السلك . لحين رجع سأله قائلا :

— لماذا غبت .

فكان جواب لوبين :

— كنت أتحدث في التليفون مع باميلا .

فقطب بيشو جبينه وقال : وما الداعي إلى هذا الحديث .

— كنت أريد أن أطمئن على صحتها .

فتفرس فيه بيشو وفي عينيه نظرات تدل على الريبة وسوء الظن .

كان يعلم أن لوبين اتصل تليفونيا باميلا لينبئها بأن المروج الكبير هو بروكيه وليعهد إليها بالسطو على المسكن .

نعم .. كان بيشو موقنا كل اليقين من أن هذا هو الذي حدث ولكنه لم ير فائدة في أن يصارح بارنيت ، أو بمعنى آخر لوبين بما يجول في خاطره فتنهد ولم يقل شيئا . !

الأمير الشركسي

كان في استطاعة بيشو أن يغفر لصديقه بارنيت كل شيء . إلا أنه كان السبب في خصلة الشعر البيضاء التي زينت رأسه عقب حادث الأمير الشركسي .

وصل هذا الأمير إلى باريس فجأة . دون سابق إعلان ولكنه سمح بعد وصوله لبعض مندوبي الصحف بمقابلته والتحدث إليه في الفندق الذي نزل به ضيفا مكرما .

احتشدت قاعة الاستقبال في الجناح الخاص بالأمير الشركسي بمندوبي الصحف الذين هرولوا لمقابلته للحصول منه على أحاديث ومعلومات يسودون بها بضعة أعمدة من صحفهم ، وقد آثر الأمير اقتصادا للوقت أن يقابلهم جملة ، وأن يدلي إليهم بما يريدون من معلومات .

سأله أحد المندوبين المعروفين بسعة الاطلاع :

— ولكن أين توجد بلاد الشركس ياصاحب السمو ؟

فرفع الأمير حاجبيه الكثيفين وأجاب :

— من عجيب أنكم لا تعرفون حتى الآن موقع بلادنا الجميلة ذات الشهرة الواسعة . ان بلاد الشركس قد انكمشت الآن حتى أصبحت صغيرة بين جبال القوقاز والبحر الأسود بعد أن هذه البلاد كانت

فى وقت ما أكبر مساحة عما هى الآن ثم أكلها الغزاة ، ونتف الأتراك والروس ريشها .

وقد كان التتر هم أول من أطلق على بلادنا اسمها الحالى ، و (شركس) معناها باللغة التترية (اللصوص) على أن أجدادنا العظماء قد استطاعوا محو هذه الإساءة ، والتدليل على أن الشركس ليسوا لصوصا ، وإنما هم شعب باسل أمين من أشجع الشعوب فى شرق أوروبا

فسأله أحد الصحفيين :

— وهل ماتزال بلاد الشركس تفخر بجمال نسائها ؟

فأجاب الأمير على الفور :

— ليس من ينكر على الشركسيات أنهن أجمل نساء العالم . وهن يمتزن بالجمال منذ آلاف السنين . ومنهن كان يتألف الحريم فى قصور سلاطين آل عثمان ، بيد أننا وضعنا الآن من الحواجز الجمركية ما يكفل عدم تصدير الشركسيات إلى الخارج

وما كادت إحدى الصحف الكبرى تنشر الأحاديث المسهبة لسمو الأمير عن بلاد الشركس . وطبائع أهلها . وجمال نسائها . ومن نفوذ الأمير فى بلاده وسعة ثروته . حتى تضاعف الاهتمام بأمر هذا الضيف الكبير

وازداد هذا الاهتمام . ولا سيما من جانب إدارة البوليس . عندما نشرت إحدى الصحف نبأ ذكرت فيه أن السبب الأول لزيارة الأمير

(شارل) الشركسى هو رغبته فى إلقاء نظرة أخيرة على التاج الذى كان قد أوصى بصنعه فى باريس . والذى قدر ثمنه بأربعمائة ألف من الفرنكات

قرأ بيشو هذا النبأ . فتأبط الجريدة . وقصد لتوه إلى الفندق الذى ينزل فيه الأمير . والتمس مقابلته بصفته الرسمية .

وسمح له الأمير بالمقابلة . ووجد بيشو نفسه أمام شاب برنزى اللون عريض الكتفين ضخم الشاربين . فقدم إليه نفسه . وعرض عليه الجريدة التى نشرت نبأ التاج وسأله عما إذا كان ينوى تكذيب هذا النبأ

فدهش الأمير . وقال وهو يفتل شاربيه :

— ولماذا أكذب النبأ ؟ إنه صحيح . وأنا الذى أفضيت به إلى مندوب الجريدة

— فى هذه الحالة . أرجو ياصاحب السمو أن تسمح بأن نضعك تحت حماية البوليس

— حماية البوليس ؟؟ ألا يتمتع سكان هذه المدينة جميعا بحماية البوليس ؟

— طبعا . ولكن هذه حالة خاصة . وعندنا بعض محتالين على جانب عظيم من الذكاء . أخص بالذكر منهم واحدا اعتقد أن نبأ هذا التاج سوف يغريه . ويسيل لعابه

— ومن هو هذا المحتال الجرىء الذى يزعجكم إلى هذا الحد ؟

فأجاب بيشو فى حنق :

— هو رجل مجنون بالسرقة والاحتيال . ومشهور باسم ارسين لوبين ..

— أرسين لوبين ؟ لقد قرأت هذا الاسم

— وإذن فارجو سموكم أن تسمحوا لى بأن أحيط التاج بالحراسة الى أن يتم لسموكم الرحيل به إلى وطنكم

قالت باميلا بعد أن قرأت الجريدة :

— أعتقد أن حكاية هذا التاج ليست إلا فخا للإيقاع بك وأن بيشو هو الذى وضع لك هذا الفخ . وأن هذا الأمير الشركسى ليس إلا أحد رجاله متنكرا بشارب مستعار . بل أننى أراهنك على ذلك .

فأجاب بارنيت : أخشى أن تخسرى الرهان أيتها العزيزة . وإذا رايت بيشو وعلامات الانزعاج تبدو على وجهه . إذن لايقنت أن الأمير (شامل) الشركسى شخصية حقيقية ، وأن التاج موجود لاريب فيه .

وبعد ، فإن تحقيقا بسيطا فى محل مجوهرات (فاستر) أو فى (شركة التأمينات الوطنية) ، يكفى لإثبات وجود هذا التاج ، فمحل فاستر هو الذى صنعه وأمن عليه ضد السرقة والطوارىء لدى (شركة التأمينات الوطنية) .

وقد علمت أن الأمير لم يدفع ثمن التاج بعد ، ومسألة دفع الثمن موقوفة على رضى سموه وإعجابه بالتاج ، فاذا أنا استوليت على هذا

التاج ، فان الغرم يقع على (شركة التأمينات الوطنية) وحدها ، وهى شركة أنا من أدرى الناس بوسائلها غير المشروعة .

— بديهى أن يضع بيشو التاج المثين تحت حراسة رجاله ، فماذا فى نيتك أن تفعل فى هذه الحالة ؟

فابتسم بارنيت وأجاب :

— فى نيتى أن استولى على التاج تحت سمع بيشو وبصره . . لكى أزيد به ثروتى من الهدايا الملكية . . واضعه بجانب وسام سان بيشو الذى أهدانيه قيصر روسيا . . ووسام (وأنونزاتا) الذى أهدتنه الحكومة الإيطالية على سبيل الاعتراف بخدماتى فى مسألة الأربعة ملايين ليرة .

بدأت متاعب بيشو الحقيقية فى صباح اليوم التالى عندما علم أن محل الجوهرات قد أرسل التاج الى الأمير شامل فى فندقه فانطلق الى الفندق وهو قلق مهموم وأشرف بنفسه على القوات البوليسية فى جناح الأمير . وفعل ذلك بدقة واهتمام ، كما لو كان يحرس ملكا عظيما مهددا بالاغتيال .

وأقام بعد ذلك ثلة من رجال البوليس بباب الفندق، وعاد ادراجه الى جناح الأمير وهو مطمئن مرتاح الى الإجراءات التى اتخذها .

وكانت (شركة التأمينات الوطنية) بما لها من مصلحة فى حراسة التاج ، قد بعث ببوليس سرى خاص من رجالها للاشتراك فى المحافظة

على التاج، وقد نظر بيشو الى هذا البوليس السرى فألفاه رجلا متوسط القامة ، ذا شارب كث ، لايلوح عليه شيء من مخائل الذكاء فطلب اليه بيشو أن يكمن فى أحد أركان غرفة التاج ، والا يحول بصره عن التاج الثمين .

أما التاج ، فكان موضوعا فى علبة من القطيفة . فوق منضدة صغيرة ابتاعها الأمير خصيصا لهذا الغرض ، وعبثا حاول بيشو أن يقنع الأمير بوضع التاج فى إحدى الخزائن ، فقد أصر الأمير على أن يظل التاج معروضا لكى يراه أصدقاؤه العديدون الذين أرسل يستدعيهم لاستطلاع رأيهم فى شكل التاج ومنظره ، وقيمة مجوهراته .

وقضى بيشو الليل كله وهو يروح ويجيء فى غرفة التاج . ويغالب النوم . ويشكر على نفسه حتى مجرد التماس الراحة بالجلوس على أحد المقاعد .

أما بوليس شركة التأمينات الوطنية فقد غلبه التعب والنعاس فتهالك على أحد المقاعد . وما لبث أن سمع بيشو شخيره .

ومرت الساعات ببطء . وبيشو مستيقظ . يرى . ويسمع ويراقب إلى أن بزغت الشمس .

وحول الساعة العاشرة ، خرج الأمير (شامل) من غرفة نومه . وقصد توا إلى حيث كان التاج فنظر إليه بعينين فاحصتين . ثم فتل شاربيه وقال محدثا بيشو :

— هذا غريب جدا ياسيدى المفتش . أن التاج لم يسرق . فهل عدل لوبين عن عزمه ؟

فلم يجب بيشو .

وعاد الأمير إلى غرفته . حيث أمر بأن يحمل إليه الافطار .

واطمأن بيشو بدوره نوعا ما . . فجلس على أحد المقاعد وطلب أن يؤتى إليه بقدح قهوة .

وأنه ينتظر أن يجاب إليه طلبه . . حانت منه التفاتة إلى كرة من الزجاج صغيرة الحجم رآها تتدحرج على الأرض بسرعة .

نهض من مقعده ليلتقطها ويفحصها . . ولكن الكرة كانت مندفعة نحو أحد الجدران بقوة . . فارتطمت بالجدار وتحطمت بسهولة .

ورأى بيشو سائلا أبيض كاللبن يسيل منها . . وقبل أن يدرك شيئا من سر هذه الظاهرة العجيبة . . أخذ السائل الأبيض يستحيل إلى دخان قاتم انتشر فى الغرفة بسرعة البرق وأحس بيشو أنه يكاد يختنق . . وضربت سحب الدخان أمام عينيه غشاء فلم يعد يبصر شيئا

وسمع فى ذات الوقت صيحة فزع وذعر تفلت من فم البوليس السرى الذى شهد مثله تلك الأدخنة المظلمة وهى تنتشر وتتراءى فى أنحاء الغرفة وجعل بيشو يضرب بيديه ذات اليمين وذات اليسار كالأعمى ويصرخ :

— اغلقوا الأبواب ولا تدعوا أحدا ينصرف .

وركع على الأرض .. وأخذ يتلمس الطريق حتى اهتدى إلى قواعد المنضدة ، ومس بيديه الصندوق الزجاجي الذي به التاج ، فاطمأن ، وقصد إلى الباب وفتحه ، واستنشق الهواء ملء رئتيه في اللحظة التي كاد فيها أن يختنق تماما .

سأل أحد الشرطة الذين يحرسون باب الغرفة :

— هل خرج أحد ؟

— كلا ياسيدي .

— حسنا ، يجب أن تضاعف المراقبة ، وليبق الباب مفتوحا حتى تنقشع هذه الأدخنة .

وأخذت سحب الدخان تنقشع بالتدريج ، وانجلى الظلام الدامس الذي أوجدته تلك الأدخنة .

ونظر بيشو إلى الطاولة حيث كان التاج ، وجمد في مكانه . ذلك أنه لم ير أثرا للتاج .

أحس بأن جميع الأبحاث لن تجدي . وأن التاج قد تبخر . واختفى إلى الأبد . وخرج الأمير الشركسي من غرفته وهو يسب الدخان بلغة لم يفهمها بيشو .

أما البوليس السري الذي بعثت به شركة التأمينات الوطنية فإنه جمد بدوره في مكانه . أمام الطاولة التي اختفى التاج من فوقها .

وقبل أن يفيق من دهشته . هجم عليه بيشو بغيظ وحنق . وقبض

على شاربيه بكلتا يديه . واجتذبهما بأصابعه الفولاذية فقد أدرك على الفور ، أنه أرسين لوبين متنكرا .

قالت باميلا في فضول :

— يجب أن تقول لي كيف نجحت !

فابتسم بارنيت . وتناول حقيبة كبيرة كان قد جاء بها معه منذ بضع دقائق ففتحها . وأخرج منها لوحة خشبية عريضة . وأربعة قوائم من الخشب . وما هي إلا لحظة حتى كان قد ثبت القوائم باللوحة الخشبية فاذا أمامه الطاولة التي كان التاج معروضا فوقها .

وكانت طاولة عادية ، لا تختلف عن غيرها من الطاولات إلا بسمك سطحها ، وإلا بانها خالية من الأدراج .

قال بارنيت :

— أنظري جيدا إلى هذه الطاولة .

ففعلت ، ومد بارنيت يده إلى أحد جوانب الطاولة ، وضغط على زر صغير ، فانفرجت في سطح الطاولة ثغرة واسعة . دس بارنيت يده فيها وأخرج التاج .

وقال وهو يبتسم :

الأمر بسيط كما ترين ، كان بحسبي أن أحول الأنظار عني ، ثم أضغط على هذا الزر فتحدث الثغرة في سطح الطاولة ، ويسقط التاج في الداخل وقد بقي التاج في الغرفة وبيشو المسكين يفتش عنه في الأرض وفي

وركع على الأرض .. وأخذ يتلمس الطريق حتى اهتدى إلى قواعد المنضدة ، ومس بيديه الصندوق الزجاجى الذى به التاج ، فاطمأن وقصد إلى الباب وفتحه ، واستنشق الهواء ملء رئتيه فى اللحظة التى كاد فيها أن يختنق تماما .

سأل أحد الشرطة الذين يحرسون باب الغرفة :

— هل خرج أحد ؟

— كلا ياسيدى .

— حسنا ، يجب أن تضاعف المراقبة ، وليبق الباب مفتوحا حتى تنقشع هذه الأدخنة .

وأخذت سحب الدخان تنقشع بالتدريج ، وانجلى الظلام الدامس الذى أوجدته تلك الأدخنة .

ونظر بيشو إلى الطاولة حيث كان التاج . وجمد فى مكانه . ذلك أنه لم ير أثرا للتاج .

أحس بأن جميع الأبحاث لن تجدى . وأن التاج قد تبخر . واختفى إلى الأبد. وخرج الأمير الشركسى من غرفته وهو يسب الدخان بلغة لم يفهمها بيشو .

أما البوليس السرى الذى بعثت به شركة التأمينات الوطنية فإنه جمد بدوره فى مكانه . أمام الطاولة التى اختفى التاج من فوقها .

وقبل أن يفيق من دهشته . هجم عليه بيشو بغيظ وحنق ، وقبض

على شاربيه بكلتا يديه . واجتذبهما بأصابعه الفولاذية فقد أدرك على الفور ، أنه أرسين لوبين متنكرا .

قالت باميلا فى فضول :

— يجب أن تقول لى كيف نجحت !

فابتسم بارنيت . وتناول حقيبة كبيرة كان قد جاء بها معه منذ بضع دقائق ففتحها . وأخرج منها لوحة خشبية عريضة . وأربعة قوائم من الخشب . وما هى إلا لحظة حتى كان قد ثبت القوائم باللوحة الخشبية فإذا أمامه الطاولة التى كان التاج معروضا فوقها .

وكانت طاولة عادية ، لاتختلف عن غيرها من الطاولات إلا بسمك سطحها ، وإلا بأنها خالية من الأدراج .

قال بارنيت :

— أنظرى جيدا إلى هذه الطاولة .

ففعلت ، ومد بارنيت يده إلى أحد جوانب الطاولة ، وضغط على زر صغير ، فانفرجت فى سطح الطاولة ثغرة واسعة . دس بارنيت يده فيها وأخرج التاج .

وقال وهو يبتسم :

الأمر بسيط كما ترين ، كان بحسبى أن أحول الأنظار عنى ، ثم أضغط على هذا الزر فتحدث الثغرة فى سطح الطاولة ، ويسقط التاج فى الداخل وقد بقى التاج فى الغرفة وبيشو المسكين يفتش عنه فى الأرض وفى

السماء ، إلى أن تمكنت من حمل الطاولة ، ووضعها فى حقيبتى .

وأنا إن أنس فلن أنسى ماحييت منظر البوليس السرى الذى بعثت به شركة التأمينات .. عندما هجم عليه بيشو واجتذب شاربيه .

قال ذلك وقهقه ضاحكا ، وأخرج من حقيبته شاربين مفتولين من الطراز الملكى .

فهتفت باميلا :

— يا إلهى ، هل اختطفت الأمير الشركسى ومثلت دوره ؟

فهز بارنيت رأسه وقال :

كلا ، لقد كنت أنا الأمير الشركسى منذ البداية .

ففهمت باميلا ، وأغرقت فى الضحك .

(تمت)

دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح — ت ٩٠١٧٢٥